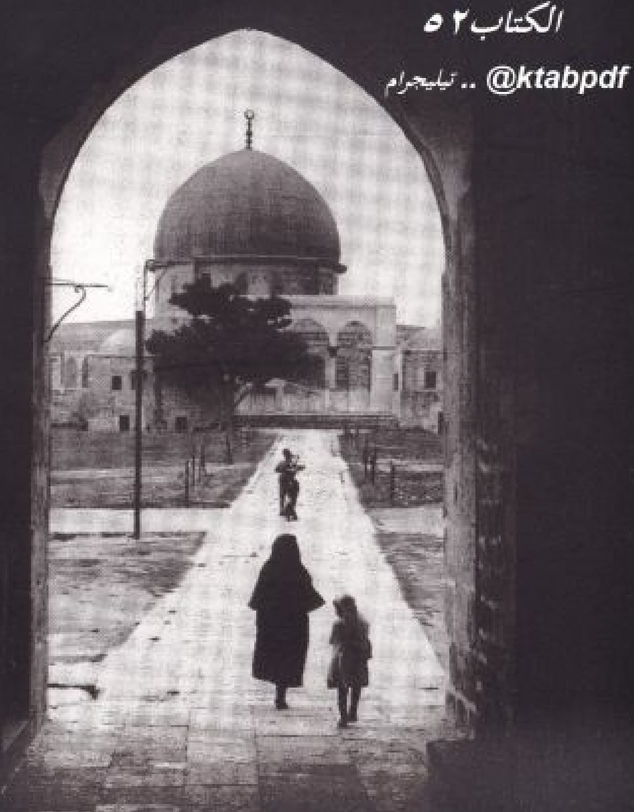
تميم البرغوثي

في القدس

شعر



دار الشروق

في القدس

تميم البرغوثي

في القدس

شعر

دار الشروق

المحتويـــات

في القدس ٧

الجليل ١٣

أنا لي سماء كالسماء ٢١

يا هيبة العرش الخلي من الملوك ٢٧

نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة ٣٧

الموت فينا وفيهم الفزع (إلى المقاومة في غزة) ٤٥

لا شيء جذريا ٤٩

تقول الحمامة للعنكبوت ٥٣

أمر طبيعي ٥٩

القهوة ٦٣

خط على القبر المؤقت ٦٧

أمير المؤمنين (إلى السيد حسن نصر الله) ٧٧

سفينة نوح (إلى السيد حسن نصر الله) ٨٣

الأمر ٩١

ابن مريم ٩٣

حصافة ٩٥
قفي ساعة ٩٧
قبلي ما بين عينينا اعتذارًا يا سماء ٩٩
تخميس على قدر أهل العزم ١٠٧
غـزَل ١٢١
رجز USA ١٢٣
أيها الناس ١٢٧
معين الدمع (في معارضة معلقة عمرو بن كلثوم) ١٢٩
شكر ١٣١

في القدس

مَـرَرْنـا عَلى دارِ الحبيب فرَدَّنا ... عَنِ الدارِ قانونُ الأعادي وسورُها

فَقُلْتُ لنفسي رُبـما هِـيَ نِعْمَة ... فماذا تَرَى في القدسِ حينَ تَزُورُها

تَرَى كُلَّ ما لا تستطيعُ احتِمالَهُ ... إذا ما بَدَتْ من جَانِبِ الدَّرْبِ دورُها

وما كلُّ نفسٍ حينَ تَلْقَى حَبِيبَها ... تُـسَرُّ ولا كُـلُّ الغِيابِ يُضِيرُها

فإن سرَّهـا قبلَ الـفِـراقِ لِقاؤُه ... فليسَ بمأمونٍ عليها سرُورُهـا

متى تُبْصِرِ القدسَ العتيقةَ مَرَّةً ... فسوفَ تراها العَيْنُ حَيْثُ تُدِيرُها

في القدسِ، بائعُ خضرةٍ من جورجيا برمٌ بزوجته يفكرُ في قضاءِ إجازةٍ أو في طلاءِ البيتْ

في القدس، توراةٌ وكهلٌ جاءَ من مَنْهاتِنَ العُليا يُفَقِّهُ فتيةَ البُولُونِ في أحكامِها

في القدسِ شرطيٌّ من الأحباشِ يُغْلِقُ شَارِعاً في السوقِ،

رشَّاشٌ على مستوطنٍ لم يبلغِ العشرينَ،

قُبَّعة تُحَيِّي حائطَ المبكَى

وسياحٌ من الإفرنجِ شُقْرٌ لا يَرَوْنَ القدسَ إطلاقاً
تَراهُم يأخذونَ لبعضهم صُوَرَاً
مَعَ امْرَأَةٍ تبيعُ الفِجْلَ في الساحاتِ طُولَ اليَومْ
في القدسِ أَسْوَارٌ مِنَ الريحانْ
في القدسِ مِتْرَاسٌ مِنَ الأَسْمَنْتْ
في القدسِ دَبَّ الجندُ مُنْتَعِلِينَ فوقَ الغَيمْ
في القدسِ صَلَّينا على الأَسْفَلْتْ
في القدسِ مَن في القدسِ إلا أَنْتْ

وَتَلَفَّتَ التاريخُ لي مُتَبَسِّماً
أَظَنَنْتَ حقاً أنَّ عينَك سوفَ تخطئهم، وتبصرُ غيرَهم
ها هُم أمامَكَ، مَتْنُ نصٍّ أنتَ حاشيةٌ عليهِ وَهَامشٌ
أَحَسبتَ أنَّ زيارةً سَتُزيحُ عن وجهِ المدينةِ يابُنَيَّ
حجابَ واقِعِها السميكَ لكي ترى فيها هَواكْ
في القدسِ كلُّ فتى سواكْ
وهي الغزالةُ في المدى، حَكَمَ الزمانُ بِبَيْنِها
ما زِلتَ تَرْكُضُ إثْرَهَا مُذْ وَدَّعَتْكَ بِعَيْنِها
رفقاً بِنَفسكَ ساعةً إني أراكَ وَهَنْتْ
في القدسِ من في القدسِ إلا أَنْتْ

يا كاتبَ التاريخِ مَهْلاً،

فالمدينةُ دهرُها دهرانِ
دهر أجنبيٌّ مطمئنٌ لا يغيرُ خطوَه وكأنَّه يمشي خلالَ النومْ
وهناك دهرٌ، كامنٌ متلثمٌ يمشي بلا صوتٍ حِذار القومْ

والقدس تعرف نفسها، فاسأل هناك الخلق يدْلُلْكَ الجميعُ
فكلُّ شيء في المدينةِ
ذو لسانٍ، حين تَسأَلُهُ، يُبينْ

في القدس يزدادُ الهلالُ تقوساً مثلَ الجنينْ
حَدَباً على أشباهه فوقَ القبابِ
تَطَوَّرَتْ ما بَيْنَهم عَبْرَ السنينَ عَلاقةُ الأَبِ بالبَنينْ

في القدس أبنيةٌ حجارتُها اقتباساتٌ من الإنجيلِ والقرآنْ
في القدس تعريفُ الجمالِ مُثَمَّنُ الأضلاعِ أزرقُ،
فَوْقَهُ، يا دامَ عِزُّكَ، قُبَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ،
تبدو برأيي، مثل مرآة محدبة ترى وجه السماء مُلَخَّصاً فيها
تُدَلِّلُها وَتُدْنيها
تُوَزِّعُها كَأَكْياسِ المعُونَةِ في الحِصَارِ لمستَحِقِّيها
إذا ما أُمَّةٌ من بعدِ خُطْبَةِ جُمْعَةٍ مَدَّتْ بِأَيْدِيها
وفي القدس السماءُ تَفَرَّقَتْ في الناسِ تحمينا ونحميها
ونحملُها على أكتافِنا حَمْلاً إذا جَارَت على أقمارِها الأزمانْ

في القدس أعمدةُ الرُّخامِ الداكناتُ
كأنَّ تعريقَ الرُّخامِ دخانْ
ونوافذٌ تعلو المساجدَ والكنائس،
أَمْسَكَتْ بيدِ الصَّباحِ تُرِيهِ كيفَ النقشُ بالألوانِ،
وَهْوَ يقول: «لا بل هكذا»،
فَتَقُولُ: «لا بل هكذا»،
حتى إذا طال الخلافُ تقاسما
فالصبحُ حُرٌّ خارجَ العَتَبَاتِ لَكِنْ
إن أرادَ دخولَها
فَعَلَيهِ أن يَرْضَى بحُكْمِ نوافذِ الرَّحمنْ

في القدس مدرسةٌ لمملوكٍ أتى مما وراءَ النهرِ،
باعوهُ بسوقِ نِخَاسَةٍ في أصفهانَ
لتاجرٍ من أهلِ بغدادٍ أتى حلباً فخافَ أميرُها من زُرْقَةٍ في عَيْنِهِ اليُسْرَى،
فأعطاهُ لقافلةٍ أتت مصراً، فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلاَّبَ المغولِ وصاحبَ السلطانْ

في القدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلاً والهندَ في دكانِ عطارٍ بخانِ الزيتْ
والله رائحةٌ لها لغةٌ سَتَفْهَمُها إذا أصْغَيتْ
وتقولُ لي إذ يطلقونَ قنابل الغاز المسيِّلِ للدموعِ عَلَيَّ: «لا تحفل بهم»
وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ، وَهْيَ تقولُ لي: «أرأيتْ!»

فِي القدس يرتاحُ التناقضُ، والعجائبُ ليسَ ينكرُها العِبادُ،
كأنها قِطَعُ القُماشِ يُقَلِّبُونَ قَدِيمها وَجَدِيدَها،
والمعجزاتُ هناكَ تُلْمَسُ باليَدَيْنْ

فِي القدس لو صافحتَ شيخاً أو لمستَ بنايةً
لَوَجَدْتَ منقوشاً على كَفَّيكَ نَصَّ قصيدَةٍ
يابْنَ الكرامِ أو اثْنَتَيْنْ

فِي القدس، رغمَ تتابعِ النَّكَباتِ، ريحُ براءةٍ فِي الجوِّ، ريحُ طُفُولَةٍ،
فَتَرَى الحمامَ يَطِيرُ يُعلِنُ دَوْلَةً فِي الريحِ بَيْنَ رَصاصَتَيْنْ

فِي القدس تنتظمُ القبورُ، كأنهنَّ سطورُ تاريخِ المدينةِ والكتابُ ترابُها
الكل مرُّوا من هُنا
فالقدسُ تقبلُ من أتاها كافراً أو مؤمنا
أُمرر بها واقرأ شواهدَها بكلِّ لغاتِ أهلِ الأرضِ
فيها الزنجُ والإفرنجُ والقِفْجَاقُ والصِّقْلابُ والبُشْنَاقُ
والتاتارُ والأتراكُ، أهلُ الله والهلاك، والفقراءُ والملاك، والفجارُ والنساكُ،
فيها كلُّ من وطئَ الثَّرى
كانوا الهوامشَ فِي الكتابِ فأصبحوا نَصَّ المدينةِ قبلنا
يا كاتب التاريخِ ماذا جَدَّ فاستثنيتنا

أرأيتها ضاقت علينا وحدنا!

يا شيخُ فلتُعِدِ الكتابةَ والقراءةَ مرةً أخرى، أراكَ لَحَنْتْ

العين تُغْمِضُ، ثمَّ تنظُرُ، سائقُ السيارةِ الصفراءِ، مالَ بنا شَمالاً نائياً عن بابها

والقدس صارت خلفنا

والعينُ تبصرُها بمرآةِ اليمينِ،

تَغَيَّرَتْ ألوانُها في الشمسِ، مِنْ قبلِ الغيابْ

إذ فاجَأَتْني بسمةٌ لم أدْرِ كيفَ تَسَلَّلَتْ للوَجْهِ

قالت لي وقد أَمْعَنْتُ ما أَمْعنْتْ

يأيها الباكي وراءَ السورِ، أحمقُ أَنْتْ؟

أَجُنِنْتْ؟

لا تبكِ عينُكَ أيها المنسيُّ من متنِ الكتابْ

لا تبكِ عينُكَ أيها العَرَبِيُّ واعلمْ أَنَّهُ

في القدسِ من في القدسِ لكنْ

لا أَرَى في القدسِ إلا أَنْتْ

الجليل

سلامٌ على زينِ القُرَى والحواضِرِ   وَمَنْ هاجَرُوا منها وَمَنْ لم يهاجِر
يمرُّ بنا اسمُ المرْجِ مَرجِ ابْنِ عَامِرِ   فَنَطْرَبُ لاْسْمِ المرْجِ، مَرْجِ ابْنِ عَامِرِ
وَنَـشْرُدُ حَتَّى نَحْسَبَ المرْجَ قِصَّةً   مِنَ القَصَصِ المحكِيِّ فَوْقَ المنابِرِ
وَنَحْسَبُهُ أَرْضـاً بَعِيداً مَنَالُها   تَضِيقُ بِهَا ذَرْعـاً جِمَـالُ المُسَافِرِ
وَلَوْ طِفْلَةٌ مِنْ عِنْدِنَا مَسَّ شَعْرَها   نسيمٌ لَمَسَّ المـرجَ ظِلَّ الضَّفَائِرِ
وَنَسْمَعُ عَنْ بُعْدٍ، فطوبَى لِسَامِعٍ   عَلَى البُعْدِ محرومٍ وَلَيْسَ بناظِرِ
وَنَنْظُرُ عن بُعْدٍ، فطوبَى لِنَاظِرٍ   عَلَى البُعْدِ محـرومٍ وَلَيْسَ بزائِرِ
وإن زارَ يوماً حـالَ دونَ مَبِيتِهِ   بِمَنْزِلِهِ جَيْشٌ كَثِيرُ العَسَاكِرِ
إذا حاصَرَتْ جِسْمَ الجليلِ غُزَاتُهُ   فإنَّ اْسْمَهُ قَدْ رَدَّ كَيْدَ المحَاصِرِ
فَمَنْ قَالَ بَيْتِي في الجليلِ وَلَمْ يَزِد   فَقَدْ قالَ شِعْراً وَهْوَ لَيْسَ بِشَاعِرِ

وَيَحْسَبُهُ الناسُ جُغْرَافِيا...

وَهْوَ أرضٌ شمالَ فلسطينَ

أعني شمالَ جنينَ تماماً
جنوبيَّ لبنانَ رأساً
جنوبيَّ غربِ دمشقَ مباشرةً
وَسَطَ الشامِ كالطفلِ في المهدِ،
أو كالهوى في قلوبِ الكرامْ
ولو مُدَّ من شرفةٍ فيه حبلُ غسيلٍ
إلى أيِّ بيتٍ على أيِّ بحرٍ بأيِّ اتجاهٍ
لما مَرَّ إلا على قُبَّةٍ أو مَقامْ
كأنَّ الممالكَ من حولِهِ ريشُ مَرْوَحَةٍ،
أو مُصلُّونَ من حولِ بيتٍ حرامْ
لذاك يُحَرِّرُهُ من حصارِ الغزاةِ
دخولُ الورى في صلاةِ الجماعَةْ
وتأمينُهم في دعاءِ الإمامْ
يحرّرُهُ كلَّ عيدٍ غناءُ القداديسِ تطربُ منها الحقولُ التي لم تَزَلْ في الغمامْ
هنالكَ يمشي الدُّعاءُ،
كمن يعرفُ الدربَ، مشياً عزيزاً
من الأرضِ حتى السماءِ
كأن المسافةَ بينهما مستطاعَةْ
وفي وَسَطِ الشامِ لفظُ الجلالةِ يا سيِّدي قابلٌ للزراعةْ
ويزرعه الناسُ فِعْلاً، وتثمرُ أشجارُه كلَّ عامْ

وفي وَسَطِ الشامِ تاريخُنا
مثلُ سجادةٍ من حريرٍ تَرَيَّثَ فيها شُيُوخُ الصناعَةْ
ويربطُها البائعونَ بخيطٍ رخيصْ
وتاريخنا فسحَةُ الشمسِ في السّجْنِ
أو نجمةٌ وَقَعَتْ، أو براقٌ قنيصْ
وتاريخنا عَرَقٌ في يدٍ أو دمٌ في قميصْ
وتاريخنا ألفُ عامٍ تحاصِرُها نصفُ ساعةْ

ورُبَّ سيوفٍ معلقةٍ في بيوتِ الجليلِ
علاها غبارُ التقاعد بعدَ غبار الخيولِ
فأمست شيوخاً يقصون سيرتهم في الهوى والجهادْ
يعيدونها فتطمئننا لقطة في الشريط المعادْ
إلى أننا سوف نلقى الرشادْ
كأن السيوفَ الشيوخَ هنا، رُقْيَةٌ أو ضِمادْ
وفي وَسَطِ الشامِ تغدو السيوفُ رموزَ الوداعَةْ
وتغدو الطيورُ رموزَ العنادْ
ألستَ تَرَى الطيرَ إن طَرَدُوهُ من العُشِّ عادْ
وفي وَسَطِ الشامِ طيرٌ تَفَوَّقَ في حِرفَةِ الهزءِ من كلِّ سلكِ حدودٍ
وكاشفةٍ للمعادنِ أو للنوايا
وفي وَسَطِ الشامِ يعلو المشيبُ رءوسَ الرزايا
و يخشى الزمانُ نوايا العبادْ

فيوماً تراه بتُرْسٍ ورُمْحٍ
ويوماً على حَذَرٍ خافِيا
وَيَحْسَبُه الناسُ جُغْرافِيا

ويبنونَ دونَ الجليلِ جداراً،
علا فاطمأنُّوا وظنوا بأن الهواءَ على جانبيهِ انفصلْ
ولكنْ يمرُّ الجليلُ من الجسمِ للجسمِ، مثلَ الحرارةِ
عند العناقِ، وينظمُ كلَّ المشاهدِ نظماً
كما يجمعُ النحوُ شملَ الجُمَلْ
وإن الجليلَ له ألفُ معنىً
ومعنى فلسطينَ أجمعِها في الجليلْ
هو الأرضُ تحسبُ خاليةً فتفاجئ غازِيَها بشعابٍ تسيلْ
وإني أراهُ وربِّكَ في المشهد المتكرِّر في كل يومٍ
بزاويةٍ في المنارةِ أو شارعٍ في الخليلْ
وفي الطِّفلِ يُوقِفُ دبَّابَةً في الطريقِ الطويلْ
وفي خفة اليدِ تطوي الفطائرَ تُبدِي تَوَتُّرَ صاحبها من زمانٍ ثقيلْ
وفي سائق الأجرةِ المتخطي الحواجزَ مثلَ الحصانِ،
ووجهِ الحصانِ الأجيرِ يجُرُّ حُمُولاً من الفستقِ الحلبيّ
وفي الفستقِ الحلبيِّ يُلَخِّصُ مُجْمَلَ آرائنا في السياسةِ: صَبراً جميلاً يزيدُ الظَّما
و«الظما»، وَهْيَ مَقْصُورَةٌ هكذا، لفظةٌ لا تمتُّ بشيءٍ إلى الظمأ المعجميّ
وهي تجمعُ شمل الظُماةِ إلى الماءِ والعدلِ من كل جيلْ

جليلٌ هو الشيخُ في الصورة الأبديةِ
بيضاءُ سوداءُ، من عام نكبتِهِ، في المعارضِ والنَّدَوَاتِ، وفي بالِهِ،
وهو لما يَزَلْ
صابراً كالجَمَلْ
إذا يحاوِلُ أن يُفْهِمَ القائدَ العسكريّ:
يا بُنيّ
إن أرضاً يسيرُ على مائها أهلُها لا تدومُ طويلاً عليها الدُّوَلْ

جليلٌ هو النصُّ ينذرُ أعداءَنا بالزَّوالِ، وَسَوْءِ الوجوهِ، ويُعْلِمُنا أننا سنجوسُ خلالَ الديارِ،
هو الوشمُ في اليدِ يُحبطُ كلَّ محاولةٍ للتناسي، وكالواجبِ الأبديِّ اللحوحِ يُطالبُنا بالأَمَلْ
وجليلٌ هو الصوتُ يمتدُّ بالرَّدَّةِ الجبليةِ، فُصحَى، تشكِّلُها الريحُ دارجةً فتزيدُ فصاحَتَها
وَتُحَمِّلُها برذاذٍ خفيفٍ ورعدٍ خفيّ
جليلٌ لعمري، مقالي: «لعمري»، وتشديديَ «الياءَ» في لفظةِ «العربيّ»
وجليلٌ هو الوَلَدُ الناصريُّ الذي يرتقي كلَّ يومٍ صَلِيباً
فيحمله، لا أحدٌ من مِنْهُما يحملُ الآنَ صاحِبَهُ،
ويسيرُ إلى القُدْسِ مستشهداً حافِيا
ويحسَبُهُ الناسُ جغرافِيا

كأن الجليلَ عروضٌ من الشعر ينظم فوضى الحياةِ التي في الطُرُقْ
كأن الجليلَ هو الشعرُ في النثرِ محتجبٌ، كالخيولِ التي في السما
كالملائكةِ النازلينَ على هيئةِ الطيرِ يوم القتالْ
وهو محتجبٌ مثلَ رعبِ العدوِّ الحقيقيِّ،
ذاك الذي، للأمانةِ، لست ألومُ العدوَّ عليهِ، إذا ما رأى في الأُفُقْ
طائراتِ الوَرَقْ

لإداركِه أن كلَّ الخيوط تُؤَدِّي
لأيدٍ وأيدٍ وأيدي
وأن الطفولة في الحرب فعلُ تَحَدِّي
وأن تَحَدِّي الوحوشِ يُعَلِّمُها أنها من نسيجِ الخيالْ

أَلُمُّ الحروفَ من الطرقاتِ، كما يجمع الأولياءُ المريدينَ
أنظمها في سلاسلَ من عَجَبٍ فهي حرفٌ يؤدي لحرفٍ
خيوط من المطر المتتالي، ترى أثراً منه في كل ركن ورائحةً في الهواءْ
أَلُمُّ الحروفَ التي انتثرت لؤلؤاً مثلَ أهلي
وأحملُها مثلما يُحمَل الماءُ في الكفِّ
أجهد أن أحفظ الماء حتى ختام القصيدةِ
يأيها الناس هذا الوليد الجليلُ لكم
فتعالوا خذوهُ انثروه على ذوقكم،
كالأرز على أرؤس العائدينَ
بليل له حصة من هوى واحتفالْ

سيكثر إخوته في رءوس الجبالْ
ويظهر عندئذ صاحبي كافتتاح الغناءْ
جليلاً كفطرته، صافيا
ويعود إلينا جميعاً
نشيداً وجغرافيا

أنا لي سماء كالسماء

أَنَاْ لي سماءٌ كالسماءِ صغيرةٌ زرقاءُ
أحملُها على رأسي وأسعَى في بلادِ الله من حَيٍّ لحيْ
هذي سمائي في يَدَيّ

فيها الذي تدرونَ من صفة السماءْ
فيها علوٌّ وانكفاءْ
وتوافقُ الضدين من نار وماءْ
فيها نجومٌ شارداتٌ كالظباءْ
يحلو عليها ذلك الخلقُ الهجينُ من التعالي والحياءْ
فيها الرياحُ كما هو المعتاد وعدٌ أو وعيدْ
تاريخها متكرر كالصبح فيها والمساءْ
لكنه كصباحِها ومسائها في كل تَـكْرارٍ، فريدْ
فيها الطيورُ تطيرُ دوماً للوراءْ
شوقاً إلى الأرضِ التي قد غادرتها لا إلى الأرض التي تمضي إليها

ثُمَّ حين تغادر الأخرى تكادُ تموتُ من حَزَنٍ عليها
والمدى عشقٌ يزيدْ
فيها طبول الحرب تُسمَعُ من بعيدْ
وكأنها عند المدى رعدٌ وليدْ
لكن متى اقتربت يَسُدْ صمت وثِقَلٌ في الهواءْ
وإذا أتتها الطائراتْ بكلِّ موتٍ أزرقِ العينينِ يرفلُ في الحديدْ
تمسي السماءُ علي درعاً واقياً، أو ملجأً أو خيمةً
وتقولُ لي، ودموعُها في العَيْنِ: فأُلْكَ طيِّبٌ،
كم مرةً من قبلها جاءوا وراحوا يا بُنَيْ
فأعود أحملها وأسعى في بلاد الله من حَيٍّ لحيْ
عندي سماءٌ في يَدَيْ

أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء أحملها على رأسي وفيها بعض ما في أختها
فيها ملائكةٌ قد انهمكوا بإصلاح الموازين العتيقةِ،
أو مراجعةِ الكشوفِ وجدولِ الأسماءِ والأنسابْ
والخلقُ فيها يرفعونَ صحائفَ الأعمالِ يصطخبونَ بالأبوابْ
كنزٌ لطلابِ الحقوقِ،
مرافعاتٌ لا تضاهى في الفصاحةِ،
كُلُّ تاريخِ الخليقةِ ثم يُسْرَدُ،
ما عرفناهُ وما أخفاهُ عارفُه وغَيَّرَهُ،

فما تاريخُنا إلا مرافعةَ أمامَ الله
والشيطانُ ليسَ كما تَوَقَّعْنَاهُ في قَفَصِ الإدانةِ واقفاً، لكن ممثلُ الادِّعاءْ
وَيُحَضِّرُ الناسُ الأدلَّةَ والشهودَ ليُثبتوا منها جدارةَ آدمٍ بالسجدةِ الأُولَى،
تَراهم يَعرضونَ حوادثَ التاريخ مثلَ التاجرِ الشاميِّ
يعرضُ ما لديهِ من حريرٍ لم يُفَصِّلْهُ بكلِّ حماسةِ
وكأنَّما كانت لنا في صنعةِ الدَّهْرِ اليَدُ الطُّولى
كأن الدهرَ لم يُفسدْ ويُصلحْ كيف شاءْ
إن السماءَ كَكُلِّ دائرةٍ تضجُّ بأهلِها
لجَبٌ على لجَبٍ وفي الأرجاءِ صوتُ مؤذِّنٍ يَرْتَجُّ: حيَّ على الفَلاحْ
والجنُّ تأتيني بتعليماتِها مثلَ الجرائدِ كُلَّ يومٍ في الصباحْ
تمضي وتتركُها أمامَ البابْ
هي هكذا تُوحِي إلَيّ
هذي سمائي في يدَيّ

أَنَا لي سماءٌ كالسماءِ صغيرةٌ زرقاءُ أحملُها على رأسي
كما رَفَعَ الجريدةَ من أرادَ بها اتِّقاءَ الشمسِ
أو مِثْلَ التماثيل التي بمعابد اليونان تحملها على مضضٍ كعمالِ البناءْ
أو مثلما رفع المؤذنُ بالأذانِ حُمُولَ تاريخٍ طويلٍ حينَ أَوْقَفَهُ على حدِّ البُكاءِ
أو الغِنَاءْ
أو مثلما حَمَلَ المواجعَ كلَّما نادَى المنادِي أهلَه حرفُ النِّداءْ
حتى إذا ما كنتُ وحدي ساهراً في البيتِ

عَلَّقْتُ السماءَ من الزوايا
ثم قلتُ لها حَنَانَكِ أَمْطِرِي
فتجودُ لي بحروفِها،
حتى تُغَطِّيَ بالحروفِ الأرضَ،
عشوائيةٌ، ليست بشيءٍ،
ثم أقعُدُ فَوْقَها كيما أرتِّبُها،
وأجعلُها كلاماً واضحاً
فأعيدُ تركيبَ البريَّةِ وَفْقَ رَغْبَاتِي وإيماني
وَأُصْبِحُ آدَمَ الثاني
أُسَمِّي كلَّ غزْوٍ عِلَّةً كالبَرْدِ،
يأتي بُرْؤُها منها
سيرحلُ كلُّ غازٍ أو سيصبحُ مثلَنا لُغَةً وَديناً، ثوبَ تطريزٍ، وَحُبّاً للقصيدْ
وَأُحَوِّلُ الشُّرْطِيَّ إنْساناً كَمَا يَبْدُو
وليسَ مُلَخصاً لمسيرةِ السُّلْطانِ مُنْذُ الفِتْنَةِ الكُبْرَى
أُعَيِّنُ حاكِماً في البالِ سائقَ أُجْرَةٍ أو نادِلاً في مَطْعَمٍ مثلاً
وقد أعطيه أيةَ مهنةٍ أُخْرَى
فإنَّ الحاكمينَ لهم يدانِ فَقَطْ، وأكثرُ ظلمِهم، ظُلْمٌ من المحكومِ للمحكومِ،
بل إني أقولُ بأنَّه من عهدِ آدمَ لم يكنْ بين البرايا حاكمٌ أبداً
وغايةُ ما هنالكَ أنَّهُ مُذْ قلَّتِ الأحرارُ في الدنيا تَظَالَمَتِ العَبِيدْ
ولذا فإني منذُ أعوامٍ أطيلُ البحثَ للحُكَّامِ عن عَمَلٍ مُفِيدْ
وأعيدُ تركيبَ التواريخِ القديمةِ،

ربّما أَدْخَلْتُ فيها بَعْضَ تزويرٍ حَمِيدْ
فَيُصَحِّحُ التاريخُ سيرتَه كأحسنِ ما أُرِيدْ
فيهِ الخوارجُ لا تثورُ على عَلِيّ
ويثورُ فيهِ المسلمونَ على يَزِيدْ
ويُطَافُ في الأسواقِ بِأبْنِ العَلْقَمِيّ
وَبِكُلِّ مَنْ جَعَلَ الغُزَاةَ وُلاتَهُ
في مِصْرَ أو في الشَّامِ أو في ذَلِكَ البَلَدِ المخَضَّبِ والمجيدْ

وأعيدُ ترتيبَ الخرائطِ، حيث أَجْعَلُ سورَ بَغْدادٍ عِقَالاً في رءوسِ الأكرمينَ
و نيلَ مصرٍ، نَهْرَ خَيْلٍ تحتَ قومٍ غَاضِبِينَ
وَغُوطةَ بِدِمَشْقَ تُنْبِتُ، في زمانِ الحرْبِ، رُمحاً كي يَصُونَ اليَاسَمِينَ
وَرُبَّما قرَّرْتُ، من أَجْلِ المزاحِ فَقَطْ، وُجُودَ رجالِ أمنٍ طيِّبِينَ
يُؤَانِسُونَ الغُولَ والعنقاءَ والخِلَّ الوَفِيّ
هذي سمائي في يَدَيّ

هذا، إذا ما كُنْتَ تَدري، سلطةٌ عُظْمَى
أُغَيِّرُ ما أشاءُ من الزمانِ عَلَى هَوايَ
وفوقَ رأسي عالَمٌ هو عالمي
وسمائِيَ الدُّنيا التي ليست بِدُنيا
وَهْيَ كالعَنْقَاءِ، خَيَّمَ ظِلُّها فَوْقِي

وَيَحْمِي جَانِبَاها جَانِبَيّ
وَهْيَ التي في الحقِّ تَحْمِلُني وَتَسْعَى في بِلادِ الله مِنْ حَيٍّ لِحَيّ

لكنَّني، من مِخْلَبِ العَنْقَاءِ في السَّفَرِ الطويلِ مُشَارِفاً جِهَةَ الوُصُولِ
أقولُ يا عنقاءُ شكراً،
كُلَّ شَيءٍ بالخيالِ مَنَحْتِنِي
وَجَعَلْتِنِي مَلِكاً عَلَى الدُّنيا بِأَكْمَلِها
وَلَكِنْ لم يَزَلْ في الصَّدْرِ شَيءٌ،
فاكتبوهُ في الوَصِيَّةِ
وَاقْرَءُوه مَرَّةً أُخرَى عَلَيّ
يَا لَيْتَ أرضاً،
أيَّ أرضٍ،
في يَدَيّ

يا هيبة العرش الخلي من الملوك

أَبْصَرْتُ في أَحَد المتاحِفِ مَرَّةً
مَنْحُوتَةً من أَوَّلِ العَصْرِ الوَسِيطِ
أَظُنُّ صَدْرَ كَنِيسَةٍ أو مَذْبَحاً،
عَرْشاً كبيراً خَالِياً
نُحِتَتْ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ مَطْوِيَّةٌ
وَعمَامَةٌ أو تَاجُ غَازْ
عَرْشٌ خَلِيٌّ يَسْأَلُ الزُّوَّارَ عَنْ أَرْبَابِهِ
وَقَدِ اسْتَعَاضَ عَنِ المليكِ بِتَاجِهِ وَثِيَابِهِ

وَالعَرْشُ فَوْقَ غَزَالَتَيْنِ كَأَنَّما
دَبَّتْ حَيَاةٌ فِيهِمَا
وَجْهَاهُمَا دِفْءٌ يَشِي بِالشَّمْسِ
مِنْ قَبْلِ النَّهَارْ
إِحْدَاهُمَا نَظَرَتْ إلى العَرْشِ الخَلِيِّ

وَأُخْتُها نَظَرَتْ إلى جِهَةِ السَّما
وَكَأَنَّ غَيْماً مَا
سَيُمْطِرُ لِلأَنَامِ خَلِيفَةً
وَمُعَلِّما
وَبَدَا عَلَى سَاقَيْهِمَا
قَيْدَانِ قَدْ جَعَلاهُمَا
أَحْلَى وَأَعْلَى مِثْلَ أَهْلِي في الحِصَارْ

وَقَرَأْتُ في الشَّرْحِ المصَاحِبِ أَنَّها
مِنْ أَنْدَرِ القِطَعِ التي يَبْدُو بِها عِيسى المسيحِ مُمَثَّلاً بِغِيَابِهِ
فَرَأَيْتُ تِمْثَالاً رُخَامِيّاً لِفِكْرَةِ الانْتِظَارْ

وَرَأَيْتُ أَنَّ العَرْشَ أَجْمَلُ وَهْوَ خَالٍ
أَوْ هُوَ العَرْشُ الذي فِيهِ مُلُوكٌ مِنْ خَيَالِ
آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَيْبَاتِ الأَمَلْ
خَيْرُ الجَمَالِ هُوَ الجَمَالُ المحتَمَلْ
وَالنَّقْصُ أَشْبَهُ بِالكَمَالِ مِنَ الكَمَالِ
وَرُبَّ قَوْلٍ عِنْدَمَا نَقَصَ اكْتَمَلْ
وَلِذَا تَرَى أَنَّ الهِلالَ لَهُ مَعانٍ لَسْنَ في بَدْرِ الدُّجَى
يا صَاحِبَ العَرْشِ الخَلِيِّ المرْتَجى
إِنِّي أَرَى مَنْ مَثَّلُوكَ تَمَثَّلُوكْ

تَرَكُوكَ قَوْلاً غَامِضَ المعْنَى وَلَمْ يَتَأَوَّلُوكْ
وَلِكُلِّ عَرْشٍ هَيْبَةٌ ياصاحِبي
لَكِنَّ أَهْيَبَهَا
هُوَ العَرْشُ الخَلِيُّ مِنَ الملُوكْ

أَنَاْ مادِحُ العَرْشِ الذي وَقَفَتْ عَلَيْهِ غزَالَتَانْ
تُهْدِي عُيُونُهُمَا إلى النَّاسِ الأَمَانْ
أَنَا منْكُمَا يَا ظَبْيَتَانْ
أَهلِي ظِبَاءٌ مِنْ حَجَرْ
فيها الصَّلابَةُ والحَنَانْ
فيها الوَدَاعَةُ والحَوَرْ
والصَّبْرُ ما طَالَ الزَّمَانْ
أَهْلِي الشَّوَارِعُ والصُّوَرْ
وَمُظَاهَرَاتٌ في الدُّخَانْ
أَهْلِي المُهَانُ إذا صَبَرْ
وَهْوَ الكَرِيمُ وَلا يُهَانْ
يا ظَبْيَتَيْنِ منَ البَشَرْ
أَنَاْ منكُما يَا ظَبْيَتَانْ
إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُما مِنْ أُمْنِيَاتِكُما
وَمِنْ مُسْتَقْبَلٍ سَيَكُونُ، كَانْ
إنَّ المسيحَ المُنْتَظَرْ

مُسْتَقْبَلٌ في ظِلِّهِ نَمَتِ التواريخُ السوالفُ كالشَّجَرْ
والله أَعْلَمُ مَا يَكُونُ إذا ظَهَرْ
إنِّي أَرَى مُسْتَقْبَلاً طِفْلاً
يُحَاوِلُ أَنْ يَخُطَّ شَوَارِباً وَيَزِيدَ طُولاً
كَيْ تُنَاسِبَهُ دُرُوعٌ قَدْ طَرَقْنَاها لَهُ مِنْ أَلْفِ حُلْمِ
بَعْضُها مُتَدَاخِلٌ في بَعْضِها
فَأَعَانَكَ الرَّحْمَنْ يَا طِفْلاً بِرَحِمِ الغَيْبِ،
مِنْ قَبْلِ الوِلادَةِ بالمطَالَبِ أَثْقَلُوكْ
أَنَا مَادِحُ العَرْشِ الخَلِيِّ مِنَ الملُوكْ

صَعْبٌ عَلَى الشُّعَرَاءِ مَدْحُ الصَّبرِ في بَلَدِي
فَأَهْلِي صَابِرُونَ عَلَى الزَّمَانِ كَأُمِّهِ
لكِنَّني، وَأَنَا أَقَلُّ النَّاسِ صَبْراً،
سَوْفَ أَمْدَحُهُ
وَأَمْدَحُ الانْتِظَارَ عَلَى مَرَارَةِ طَعْمِهِ
فَمَرَارَةُ الصَّبْرِ التي هِيَ مَضْرِبُ الأَمْثَالِ
مَرْجِعُها إلى أَنَّ انْتِظَارَ المرْءِ
يَجْعَلُ عُمْرَهُ صَوْماً
فَيَطْلُبُ أَنْ يُعَوِّضَهُ الزَّمَانُ بِجَنَّةٍ عَنْ صَوْمِهِ
والدَّهْرُ لَيْسَ جَنَائِنِياً
لا ولا غَرْسُ النَّوَى مِنْ عِلْمِهِ

مَنْ كَانَ ذا حُلْمٍ وطالَ بِهِ المَدَى
فَلْيَحْمِهِ
وَلْيَحْمِ أَيْضاً نَفْسَهُ
مِنْ حُلْمِهِ
فَالحُلْمُ يَكْبَرُ أَدْهُرَاً
في يَوْمِهِ
وَيَزِيدُ دَيْنُ الدَّهْرِ حَتَّى يَسْتَحِيلْ
فَتَرَى ابْنَ آدَمَ
رَاضِياً من أَيِّ شَيْءٍ بِالقَلِيلْ
لا تَقْبَلُوا بالقُبْحِ يا أَهْلِي مُكَافَأَةً
عَلَى الصَّبْرِ الجَمِيلْ
فَالصَّبْرُ طُولَ العُمْرِ خَيْرٌ
مِنْ خَلاصٍ كَاذِبٍ
مَا فِيهِ مِنْ صِفَةِ الخَلاصِ سِوَى اسْمِهِ

إنَّ انتظارَ النَّاسِ في بَلَدِي
شَبِيهٌ بانتظارِ القَوْسِ
لَسْعَةَ سَهْمِهَا في الرِّيحِ
أَوْ هُوَ كَانْتِظَارِ السَّهْمِ
للقوسِ التي تَرْمِيهِ أَنْ تَتَرَنَّمَا
في الانْتِظَارِ هُنَا رَنِينُ تَوَتُّرِ

مِثْلُ الحرارةِ في المريضِ
تَقُولُ إنَّ الجِسْمَ فِيهِ صِحَّةٌ
لِيُقَاوِمَ المرَضَ الدَّخيلَ وَيَسْلَما
أَمَلٌ يُعَلَّقُ كالغَسِيلِ عَلَى الحِبالِ،
تَكَادُ تَأْخُذُهُ الرِّياحُ، ولا يَزَالُ مُعَلَّقاً
مُتَلَوِّياً فِيها عَلَى خُلُقِ الجَنُوبِ أو الشَّمالِ
يَظُنُّه الراءونَ مُنْتَشِياً بِفِعْلِ الرِّيحِ
أو مُتَأَلِّمَا
أَمَلٌ عظيمٌ كُلَّما
في الحربِ ضُرِّجَ بالدِّما
قُلنا تَوَلَّى كالشَّهيدِ
وكالشَّهيدِ على مَرايانا نَراهُ
مُصَبِّحاً مُتبَسِّما

يا ظَبْيَتَانِ أَرَى المليكَ إذا أَتَى
سَيَحِلُّ في قَلْبَيْكُما
لا فَوْقَ عَرْشٍ مِنْ رُخَامِ
لَمْ يَكُنْ يوماً بنَجّارٍ وَدِيعٍ مُغْرَمَا
هذا انتظارٌ لا يُضاهِيهِ انْتِصَارٌ، رُبَّما
شَتَّانَ مَا بَيْنَ انْتِظَارٍ مِثْلِ هَذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ النَّبِيُّ وَبَيْنَ مَا قَدْ أَمَّلُوكْ
يأَيُّها الجَمْعُ الذي مِنْ أَلْفِ ظَبْيِ

فَوْقَه رَمْلٌ قَدِيمٌ لا نِهَائِيٌّ وَيَبْرُكُ فَوْقَهُ جَمَلٌ يَلُوكْ
لَكَ لا لِغَيْرِكَ يَصْلُحُ العَرْشُ الخَلِيُّ مِنَ المُلُوكْ

وَهُنَاكَ ما يَدْعُوكَ دَوْماً للتَّشَكُّكِ
في الذين يُبَشِّرُونَكْ
بِنِهَايَةِ السَّعْيِ العَظِيمِ وَأَنَّهُمْ
عَمَّا مَضَى سَيُعَوِّضُونَكْ
كَمْ مِنْ دَعِيٍّ سَوْفَ يَزْعُمُ
أَنَّ هذا عَرْشُهُ
وَيُقِيمُ دَوْلَتَهُ عَلَيْنَا،
والبِسَاطُ الأحمرُ الرَّسْمِيُّ ممدودٌ
يُزَيِّنُ جَانِبَيْهِ جَيْشُهُ
وَتَرَى احْتِفَالاتٍ عَلى التِلْفَازِ بِاسْمِكَ
إِنَّما سَتُقَامُ دُونَكْ
هلْ كَانَ أيُّ الخَلْقِ مُنْتَظِراً رِجَالاً مِثْلَهُمْ
مِنْ بَعْدِ أعوامٍ وَأَعْوامٍ
من الموتِ المُقَطَّرِ والعِنَادْ
أَلأجْلِ أعراسِ الفنادقِ، والتجارةِ
ما أَطَلْنَا الموتَ فيها والجهادْ
أَلأجْلِ نافذةٍ على قَصْرٍ رئاسيٍّ،
يُقَامُ بملجأٍ في الطابقِ العشرينَ تحتَ الأرضِ

شُرِّدْنا بأطرافِ البلادْ
ألأجلِ هذا مِثْلَ فَهْدِ السيركِ في ألعابِهِ
يا مُهرَ ثَوْرَتِنَا المفَدَّى
قَيَّدُوكَ وَأَرْسَلُوكْ
ما أَحْسَنَ العَرْشَ الخَلِيَّ مِنَ الملوكْ

وهناكَ ما يدعوكَ أيضاً للتَّشَكُّكِ
في الذين يُمَجِّدُونَكْ
وَيُمَجِّدُونَ الشعبَ، شعبَ الله،
فَاْسْدُدْ عَنْهُمُو الآذانَ ثُمَّ اْفْتَحْ عُيُونَك
وَانْظُرْ لِتَعْلَمَ مَنْ حَرِيٌّ أَنْ يَصُونَ
وَمَنْ حَرِيٌّ أَنْ يَخُونَكْ
وَاْعْلَمْ بِأَنَّكَ حِينَما تَخْتَارُ قَوْماً غَيْرَهُمْ
سَيُعَاقِبُونَكْ
وَيَقُولُ قائلُهم
بأن الناسَ قد سَئِمُوا المجاعَةَ والدَّمَارْ
وَيَقُولُ قائلُهم قَدِ اْشْتَقْنَا لِنَصْرٍ مَا
فَسَمَّينا الهزيمةَ الانتصارْ
وَيُطَمْئِنُونَ النَّسْرَ في أَعْلَى السَّماءِ بِأَنَّهُم
مَنَحُوهُ تَرْقِيَةً
وبَدْءاً من غدٍ

أَضْحَى عَلَيْهِ أَنْ يُدَاوِمَ
كُلَّ يَوْمٍ
فِي الوَثِيْقَةِ والشِّعَارْ

يَأَيُّها المَلِكُ الذِّي قَدْ مجَّدُوكَ لِيَعْزِلُوكَ وَيَقْتُلُوكْ
أَنْتَ الجَمِيلُ وَلَسْتَ مُحْتَاجاً إلى صَلَوَاتِهِمْ لِيُجَمِّلُوكْ
يأَيُّها الأَمَلُ الحقيقيُّ الذي
تَرَكُوكَ مَصْلُوباً بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
ومرَّ عَنْكَ النَّاسُ لَمْ يَتَأَمَّلُوكْ
يَأَيُّها الطِّفْلُ الذي مِنْ بَيْت لَحْمٍ
لا تَظُنَّ بَأَنَّهُم يبغونَ عودتَكَ الجليلةَ ها هُنا
والله لو عَلِمُوا بِأَنَّكَ قَادِمٌ حَقًّا
لخَاضُوا أَلْفَ حَرْبٍ مُرَّةٍ
لِيُؤَجِّلُوكْ
حَتَّى إذا مَا جِئْتَ تَسْأَلُهُمْ
عَنِ العَرْشِ الذي قد كَانَ عَرْشَكَ
بَعْدَ ما جَلَسُوا عَلَيهِ يا كريمَ الوَجْهِ فَاعْلَمْ
أنَّ جُلَّ القَوْمِ لَنْ يَتَحَمَّلُوكْ
وَلَكَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ تَتْرَى والسَّلامْ
وعِنايَةُ الرَّحْمنِ مَا نَادَى الحَمَامُ عَلَى الحَمَامْ
يا صَاحِبَ العَرْشِ الخَلِيِّ مِنَ المُلُوكْ

«نثر موزون، وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة»

حديثُ كساءِ النبيِّ الذي سوفَ أكتبُ عنهُ حديثٌ عن الوحدةِ العربيةِ والعافِيَةْ

وسأبدأُ قولي بنثرٍ أضيفُ له الوَزْنَ والقافِيَةْ

ومِنْ بعدِه سوفَ أُنْشِدُ شِعْراً بلا حِلْيَةِ الوَزْنِ يَحْسَبُ نُقَّادُهُ، خَطَأً، أنَّ ما فيهِ مِنْ صُوَرٍ، حِلْيَةٌ كافِيَةْ

وَبَعْدَهُمَا سَأُوَحِّدُ بَيْنَهُمَا، حَيْثُ إِنَّ القَصيدَةَ عن وحْدَةِ النَّاسِ في وَطَني ولأني أرى وحْدَةَ المذْهَبَيْنِ على مذهبي اللغةَ العالِيَةْ:

حديثُ الكساءِ حديثٌ قصيرٌ مُؤَدَّاهُ أَنَّ النَّبيَّ دَعَا حَسَناً وَحُسَيْناً وفَاطِمَةً وعَلِيًّا وضَمَّ عليهم كساءً من الشَّعْرِ ثُمَّ دعا اللهَ أن يُذْهِبَ الرِّجْزَ عَنْهُمْ فأنزلَ رَبُّكَ آيةَ تَطْهِيرِهِمْ، هَكذا وَرَدَتْ في مَرَاجِعِ أَهْلِ الحدِيثِ من الفِرْقَتَيْنْ.

حديثُ الكساءِ حديثٌ جميلٌ ولستُ أُبَالي إذا اخْتَلَفَ الناسُ مِنْ بَعْدِ ذلكَ في الأَثَرِ الطَّائِفِيِّ لذِكْرِي لَهُ

بَلْ وَإني لِمَنْ أَجْلِ هذا خُصُوصَاً ذَكَرْتُ الحديثْ. لَقَدْ نَظَرَ الناسُ في أَثَرِ الضَّمِّ هَلْ فِيهِ رَمْزٌ لِعِصْمَةِ مَنْ كَانَ تحت الكساءِ أَمِ القَصْدُ تكْرِيمُهم دُونَ تَوْصِيَةٍ بالإمامَةِ بعد الرسولْ. وَلَكِنْ أنا، ولأني مِنَ الشعراءِ، ولستُ مِنَ الفقهاءِ، ولا أَبْتَغِي أن أُحَوِّلَ هذي القَصِيدَةَ دَرْسَاً بِعِلْمِ الأُصُولْ، أَقُولُ، وأَجْرِي على الله فيما أَقُولْ، بَأَني سَأُدْخِلُ فيه الذينَ أَبَوْا أَنْ يَذِلُّوا لِغَازٍ أَتَاهُمْ، وَأُخْرِجُ مِنْهُ الذينَ عَلَى العَكْسِ مِنْهُمْ أَبَاحُوا لحِاهُمْ، فَمَنْ رَدَّ كَيْدَ اليَهُودِ عَنِ المسلِمِينَ بِلُبْنَانَ عِنْدِي سَيَدْخُلُ تحتَ الكساءْ، وَمَنْ رَدَّ كَيْدَ التَّحَالُفِ عَنْ شَارِعٍ في العِرَاقِ سَيَدْخُلُ تحتَ الكساءْ، وإنْ كانَ هذا على مَذْهَب لا يُوَافِقُ ذاكَ فإني أرى تِلْكَ مَوْعِظَةً لَوْ تَفَكَّرَ أَهْلُ العُقُولْ، وهذا خُلاصَةُ نَثْري، فإنْ تُرِدِ الآنَ أَنْ تَسْمَعَ الشِّعْرَ فَاسْمَعْ:

* * *

أَقُولْ:

دخانٌ كثيفٌ يُوزَن بالأطنانْ

يعبُر الخرائطْ

إنْ ترفعْ يَدَكَ لا تَرَها

والناس يصدم بعضُهم بعضاً كسيَّاراتِ الملاهي

فإن تتبَّعتَ الدخانَ إلى مصدرهْ

وصلتَ إلى غَليونِ القيصرْ

شبكةٌ من النور

تُلقى لتنتشلَهم

يسقطونَ من خلالها واحداً تِلوَ الآخرْ
فتعود إلى ربها،
كَيَدِ طفلٍ يحاولُ نقلَ البحرِ بأصابعه إلى دلوِهِ

كتبُ النحوِ، والفلسفةِ، والرياضياتْ
تتبرعُ لجدرانِ المساجدْ
كلٌّ بسطرٍ أو اثنينْ،
تتصلُ السطورُ وتتلوَّى في تكويناتٍ نباتيةٍ متشابكةٍ على المحرابْ
المحرابُ ينمو إلى أن تحتكرَ فروعُ نباتاتِهِ توزيعَ الشمس والظلّ
بينَ محيطينِ وسبعةِ أبحرْ
ثم لا يلبثُ أن يجدَ المحرابُ من ينسفُهْ
قبابٌ تَشتعلْ،
المصلونَ أكثرَ الناسِ حرصاً على إحراقِ المساجدْ
والكفارُ أكثرُ الناس حرصاً على المشاهدةِ والترميمْ
أو على الترميمِ أولاً، أي قبلَ الحريق

تجتمع الكتب سراً، وتتبرع، مرةً أخرى
كلٌّ بسطر أو اثنينْ
وتتصل السطورُ لتصبحَ ساقَ نباتٍ طويلْ
يلتفُّ على الركام، ويحاوِلُ،
عاجزاً، أن يُزْهِرْ

تستمرُّ القبابُ في الاشتعالْ

والكتبُ في التبرع.

بعد فترة،

أصبحت القبابُ تشتعلُ ذاتياً

يعني من غيظِها،

أما الكتبُ،

فأصبحت من كثرة ما تَبَرَّعَتْ

بيضاءَ تماماً

ومن ابيضَّتْ كُتُبُهْ،

ابْيَضَّتْ راياتُهْ

ساعتانِ رمليتانْ

كلُّ واحدةٍ تتهمُ الأخْرَى بأنها مقلوبَةْ

وتدعوها أن تَعْتَدِلَ مِثْلَهَا

ويدٌ واضِحَةٌ جِدّا

تَقْلِبُهُما في نَفْسِ اللَّحْظَةْ

ومن موقِعَيْهما الجدِيدَيْن

تستمرُّ كُلُّ واحدةٍ منهما

في اتهامِ الأُخْرى

والرملُ داخلَ الزُّجاجِ

صحراءُ العربِ بمن فيها

أربعةُ جيوشٍ من وَرَقِ اللَّعِبْ
جيشانِ أحمرانِ وجيشانِ أسودانْ
تظهر المذيعةُ في نشرةِ الأخبارْ
يتقاتلُ الأسودانِ والأحمرانْ
المذيعةُ تَذْكُرُ خَلْطَ الأَوْرَاقْ
يتحالفُ كُلُّ جَيْشٍ أسودَ مَعَ نَظِيرٍ أحمرْ
المذيعةُ مَرَّةً أُخرَى
تنقسمُ كلُّ ورقةٍ إلى لَوْنَيْنْ،
نصفها الأعلى أحمرْ
والأسفلُ أسودْ،
أو العكسْ،
تزدادُ العداوةُ كلَّما اقتربَ الخصمُ من خصمِه
فما ظنُّكَ بالخصمينِ وقد أصبحا متجاورَينِ في ورقةٍ واحدَةْ
تصابُ الأوراقُ بالفِصامْ
فتقطعُ كلُّ ورقةٍ نفسَها من الوَسَطْ
نهايةُ النَّشْرَةْ
سلَّةُ المهملاتْ

على هامِشِ الصُّورَةْ
جموعُ المشجعينْ
يضربُ بعضُهم بعضاً بالأحذِيَةْ

شيوخُ الدينْ،
يبنونَ مساجدَ في الفضاءِ الخارجيْ
شيوخ السياسة،
يحملون الكراسي على رءوسهم
كآلهة المصريين القدامى
شيوخ الكلام،
والكلام أمرٌ عظيم،
مشغولونَ بقصيدةِ النثر، والكبتِ الجنسيِّ والاكتئابْ
وأنا
أحاولُ أن أُكْمِلَ هذِهِ القَصِيدَةْ

* * *

يا كِسَاءَ النَبيِّ اسْتَمِعْ
يا عليَّ المقامْ
أنتَ أكرمُ ما في مخيَّمِنا من خيامْ
فليُقَم فيكَ مُسْتَوْصَفٌ، إن تَيَسَّرَ،
يأوي إليهِ ضِعافُ الأنامْ
يا كساءَ النبيِّ، وبرجَ الحمامْ
يا شريطاً من النُّورِ ضُمَّ على باقَةٍ من كِرامْ
يا شبيهَ السماءِ القريبَ وصُبحَ المعاني
ويا رحمةَ الله منسوجةً في خِيَاطَةِ بُرْدٍ يماني

وتذكرةً بالزمانِ العَفِيّ

يا كِساءَ النبيّ

يا كساءَ النبيِّ ارتفعْ رايةً عالِيةْ

لِبَني الجارِيةْ

للَّذِينَ إذا تُرِكُوا في المنافي وشُقْرِ الموانِي

فلا ماءَ يَخْرُجُ مِنْ تحت أقدامِهم

لا وَلا وفدَ يأتي إليهم

وإن أُخِذُوا ليُضَحَّى بهم

لا فداءَ لهم يَتَنَزَّلُ من جَنَّةٍ ما

ولابيتَ تَعلو قَوَاعِدُه فَوقَهم

فَيَجِيءَ الحجيجُ إليهم بفاكِهَةِ الأربعِ النَّائيَةْ

يا كساء النبي ارتفع رايةً عاليةْ

لِبَني الجارِيةْ

يا كساءَ النبي وَجَمِّعْ قبائلَهم،

خفِّفِ الموتَ عنهم قليلاً، وغُرْبَتَهم،

فَلَقَدْ أصبحوا في البلاءِ سواءً

وباتوا ولا فرقَ بين المقيمةِ والجالِيَةْ

يا كساءَ النبي ارتفع راية عالِيَةْ

لبني الجارِيَةْ

قم وأعطهمو الدِّرْعَ والسَّيْفَ والرُّمْحَ،

وَاْتْلُ عليهم من الذِّكْرِ شَيئاً
وصلِّ صلاةَ الجماعةِ فيهم
وقُل حارِبُوا كلَّ باغٍ قَويّ
يا كِساءَ النبيّ

يا كساءَ النَّبِيِّ اجْتَمِعْ
كالضِّمادَاتِ ضَمَّتْ إلى جُرْحِها بُرْأَها
والشِّبَاكِ إذا انْتَشَلَتْ مِلْأَها
والأُمُومةِ في ضَمَّةِ الصَّدْرِ تَنْشُرُ حَتَّى نُجُومِ السَّما دِفْأَها
يا كساءَ النبيِّ اجْتَمِعْ
فإذا ما اجْتَمَعْتَ اتَّسِعْ
للزُّهورِ وَمَنْ لا يُحِبُّ الزُّهُورَ ولا يَشْتَهِيها
اْتَّسِعْ للوُلاةِ وَمَنْ لا يَلِيها
اْتَّسِعْ للحقيقةِ والشَّكِّ فيها
اْتَّسِعْ للسهولِ اتَّسِعْ للجبالِ
اتَّسِعْ للنساءِ اتَّسِعْ للرجالِ
اتَّسِعْ للعجوزِ اتَّسِعْ للرَّضِيعْ
يا كساءَ النبيِّ اتَّسِعْ للجَميعْ
وصلَّى عليكَ البَصِيرُ السَّمِيعْ
يا كِسَاءَ النبيّ

الموتُ فينا وفيهِمُ الفزعُ

(إلى المقاومة في غزة)

إن سارَ أَهلِي فالدَّهْرُ يَتَّبِعُ   يَشْهَدُ أحوالَهم ويستَمِعُ

يَأْخُذُ عَنْهُم فَنَّ البَقَاءِ فَقَدْ   زادُوا عليهِ الكثيرَ وابتدَعُوا

وَكُلَّما هَمَّ أن يقولَ لهم   بأنهم مهزومونَ ما اقْتَنَعُوا

يسيرُ إن سارُوا في مظاهَرَة   في الخَلْفِ فيه الإقْدَامُ والجَزَعُ

يَكْتُبُ في دَفْتَرِ طَرِيقَتَهُم   لَعَلَّهُ بالدُّرُوسِ يَنْتَفِعُ

لَوْ صَادَفَ الجَمْعُ الجَيْشَ يَقْصِدُهُ   فإنَّهُ نَحْوَ الجَيْشِ يَنْدَفِعُ

فَيَرْجِعُ الجُنْدُ خُطْوَتَيْنِ فَقَطْ   وَلَكِنِ القَصْدُ أَنَّهُمْ رَجَعُوا

أَرْضٌ أُعِيدَتْ وَلَوْ لِثَانِيَةٍ   وَالقَوْمُ عُزْلٌ والجَيْشُ مُدَّرِعُ

وَيُصْبِحُ الغازُ فَوْقَهُم قِطَعاً   أَوِ السَّما خَلْفَهُ هِيَ القِطَعُ

فتُطْلَبُ الرِّيحُ وَهْيَ نَادِرَةٌ   لَيْسَتْ بِمَاءٍ لَكِنَّها جُرَعُ

ثُمَّ تَراهُمْ مِنْ تَحْتِهِ انْتَشَرُوا   كَزِئْبَقٍ فِي الدُّخَانِ يَلْتَمِعُ

لِكَيْ يُضِلُّوا الرصاصَ بَيْنَهُمو   تَكَادُ مِنْهُ السُّقُوفُ تَنْخَلِعُ

حَتَّى تجلَّت عَنْهُم وَأَوْجُهُهُمْ   زُهْرٌ وَوَجْهُ الزَّمَانِ مُمْتَقِعُ

كَأَنَّ شَمْسَاً أَعطَتْ لَهُمْ عِدَةً أَنْ يَطْلُعَ الصُّبْحُ حَيْثُمَا طَلَعُوا
تَعْرِفُ أَسْمَاءَهُم بِأَعْيُنِهِمْ تَنَكَّرُوا بِاللِّثَامِ أَوْ خَلَعُوا
وَدَارَ مِقْلاعُ الطِّفْلِ في يَدِهِ دَوْرَةَ صُوفِيٍّ مَسَّهُ وَلَعُ
يُعَلِّمُ الدَّهْرَ أَنْ يَدُورَ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ القَوِيَّ يَمْتَنِعُ
وَكُلُّ طِفْلٍ فِي كَفِّهِ حَجَرٌ مُلَخَّصٌ فِيهِ السَّهْلُ وَاليَفَعُ
جِبَالُهُمْ فِي الأَيْدِي مُفَرَّقَةٌ وَأَمْرُهُمْ في الجِبَالِ مُجْتَمِعُ
يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ زُمَراً إِلى طَرِيقٍ للهِ تَرْتَفِعُ
تَضِيقُ بِالنَّاسِ الطُرْقُ إِنْ كَثُرُوا وَهَذِهِ بِالزِّحَامِ تَتَّسِعُ
إِذا رَأَوْهَا أَمَامَهُم فَرِحُوا وَلَمْ يُبَالُوا بِأَنَّها وَجَعُ
يُبْدُونَ للمَوْتِ أَنَّهُ عَبَثٌ حَتَّى لَقَدْ كَادَ المَوْتُ يَنْخَدِعُ
يَقُولُ للقَوْمِ وَهْوَ مُعْتَذِرٌ مَا بِيَدِي مَا آتِي وَما أَدَعُ
يَظَلُّ مُسْتَغْفِرَاً كَذِي وَرَعٍ وَلَم يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهِ الوَرَعُ
لَوْ كَانَ للمَوْتِ أَمْرُهُ لَغَدَتْ عَلَى سِوَاكُم طُيُورُه تَقَعُ
أَعْدَاؤنا خَوْفُهُمْ لَهُمْ مَدَدٌ لَوْ لَمْ يَخَافُوا الأَقْوَامَ لانْقَطَعُوا
وَخُوفُهُمْ دِينُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ يُولَدُوا طُبِعُوا
قُلْ للعِدَى بَعْدَ كُلِّ مَعْرَكَةٍ جُنُودُكُمْ بِالسِّلاحِ مَا صَنَعُوا
لَقَدْ عَرَفْنَا الغُزَاةَ قَبْلَكُمُو ونُشْهِدُ اللهَ فِيكُمُ البِدَعُ
سِتُّونَ عَامَاً، وَمَا بِكُمْ خَجَلٌ الْمَوْتُ فِينا، وَفِيكُمُ الفَزَعُ
أَخْزَاكُمُ اللهُ في الغُزَاةِ، فَمَا رَأَى الوَرَى مِثْلَكُمْ وَلا سَمِعُوا
حِينَ الشُّعُوبُ انْتَقَتْ أَعَادِيَها لَمْ نَشْهَدِ القُرْعَةَ التي اقْتَرَعُوا

لَسْتُمْ بِأَكْفَائِنا لِنكْرَهَكُم ... وَفي عَـدَاءِ الوَضِيعِ ما يَضَعُ

لَمْ نَلْقَ مِنْ قَبْلِكُم وَإنْ كَثُرُوا ... قَوْماً غُـزَاةً إذا غَـزَوا هَلِعُوا

وَنَحْنُ مِنْ ها هُنَا قَدِ اْخْتَلَفَت ... قِدْماً عَلَيْنَا الأَقْـوَامُ والشِّيَعُ

سِيرُوا بِها وَانْظُرُوا مَسَاجِدَها ... أَعْمَامُها أَوْ أَخْوَالُها البِيَعُ

قَوْمِي تَرى الطَّيْرَ في مَنَازِلِهِمْ ... تَسِيرُ بِالشَّرْعَةِ التِّي شَرَعُوا

لَمْ تُنْبِتِ الأرضُ القَوْمَ بَلْ نَبَتَتْ ... مِنْهُمْ بما شَيَّدُوا وَمَـا زَرَعُـوا

كَأَنَّهُمْ مِنْ غُيُومِها اْنهَمَرُوا ... كَـأَنَّـهُـمْ مِـنْ كُهُوفِهَا نَبَعُوا

والدَّهْرُ لَوْ سَـارَ القَوْمُ يَتَّبِعُ ... يَشْهَدُ أحوالَهم وَيَسْتَمِعُ

يَأْخُذُ عَنْهُمْ فَـنَّ البَقَاءِ فَقَدْ ... زَادُوا عَلَيْهِ الكَثِيرَ وَابْتَدَعُوا

وَكُلَّما هَـمَّ أَنْ يَـقُـولَ لَهُمْ ... بِأَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ مَا اْقْتَنَعُوا

لا شيء جذرياً

لا شيءَ جَذْرِياً
ستسقطُ المدنُ العالياتْ
ويُخَفِّتُ المصوِّر الأبديُّ الضوءَ عن مبانيها الشاهقةْ
ويضيءُ الفئرانَ وأكياسَ القمامةِ السوداءَ،
فتلمعُ، وكأنها قُبَّةُ البرلمانْ

لا شيءَ جَذْرِياً
ستنمو الشُّقوقُ التي في أُصولِ الجدرانِ كاللَّبْلابِ
كَبَرْقٍ مُضادٍّ، يَسري من الأرضِ إلى السماءْ

لا شيء جذرياً
أشجارُ الخريفِ التي عَرِيَتْ من أوراقها
تُشَبِّكُ أغصانَها، كأَيَادٍ في مظاهرةٍ كُبرَى
والطيورُ، تُقَرِّرُ بعدَ نقاشٍ طويل، ألاَّ تَهْجُرَها

لا شيء جذرياً
لن يُحَيِّيَ التلاميذُ أعلامَ بلادِهم في طَوابيرِ المدارسْ
بل ستقفُ الأعلامُ طوابيرَ، تُحَيِّي التلاميذَ

لا شيء جذرياً
سَيَتَسَلَّحُ الغزال جَيِّداً
وسَتُنْسَجُ أثوابُ الأعراسِ الفضفاضةُ من حَلَقَاتِ الزَّرَدْ
وسَيَسْتَعِدُّ الجميعُ للقيامِ بواجِبِ الضِّيَافَة

لا شيء جذرياً
سَتَحُطُّ الذبابةُ بإصرارٍ عَجِيبٍ
على تاجِ القيصر
ومن موقعها المُبَجَّل
سَتُقَلِّدُ حَرَكَاتِه بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَة

لا شيء جذرياً
سَيُقَلِّلُ السادةُ مقدارَ صاعِ الحِنْطَة
عن أعدائِهم أولاً
ثم عن حُلفائهم
ثم عن أبنائهم
وسيُمسِكُ السادةُ بَعْضُهُم بتَلابيبِ بَعْضٍ

وسيندم الحلفاءُ على حِلْفِهم
وسيندمُ الأعداءُ على عَدَاوَتهم
وسينزلُ الفَرَحُ على أَقَلِّ الناسِ أملاً فيه

لا شيء جذرياً
سَيُولَدُ دينٌ جديد، كالعادةِ، بَيْنَ الفراتِ والنيلْ
وكالعادةِ أيضاً، فإنَّ نظامَ دَاوُدَ العسكريَّ، سَيَزُولْ

لا شيء جذرياً
نقطةُ العسلِ الكُبْرَى التي تُضِيء الأُفُقَ الغَرْبِيَّ
تُكْمِلُ نُزُولَها اليوميَّ إلى البحر
وتذوبُ فيه فيحلُو إلى حدٍّ ما

لا شيء جذرياً
يُواصلُ الحمامُ كَذِبَهُ على أُسطولِ نُوح
ويواصلُ الغُرابُ تَحذِيرَه
وتواصل السفنُ رِحلتَها من مُحيطٍ لمحيط
أصبح الطوفانُ روتينياً
كالمَذْهَبِ في المُوَشَّح
وكذلك النجاةُ

ولذلك

فإن الحيوانَ المتهادنَ على السفينة،

غيرَ مهدَّدٍ بالموجِ،

مشتبكُ العيونِ، ما بين كلِّ ضبعٍ وغزال

والكل مشتاقٌ إلى اليابسة

لا لشيءٍ إلا ليواصل الطراد

لا شيء جذرياً

ولأن الغيمَ على معرفةٍ دقيقةٍ بكميةِ المطرِ التي صَنعَتِ الطوفانَ

فهو أكثرُ سكان المشهدِ اطمئناناً

ولأنه غيمٌ حَنُونٌ

ما زال يبعث برسالةٍ تلوَ الأخرى

لأكثرِ سُكَّانِ المشهدِ شَكاً في النَّجَاةِ

للعَجَائِزِ الذين تَعَلَّقَت حَياتُهم بِنَشْرَةِ الأَخْبارِ

وللرُّضَّعِ المولودين بَقَبَضَاتٍ مَشْدُودَة

وَيُشَكِّلُ نَفْسَهُ كَلِمَاتٍ بَيْضَاءَ على لَوْحَةٍ زَرْقَاءَ

أيها الناسُ

سَتَنْتَصِرُونْ

تقول الحمامة للعنكبوت

تـقـولُ الحـمامـةُ للعنكبوتِ أُخَـــيَّ تذكرتني أمْ نَسيتِ
عشيةَ ضـاقـت عـليَّ الـسـماءُ فقلتِ على الرحبِ في الغارِ بيتي
وفي الغار شيخان لا تعلمين حَمَـيْـتِـهِـما يومَها أم حُمِـيـتِ
جَنينانِ إن يَـنْـجُـوَا يُصبِحا أُمَّـةً ذاتَ شملٍ جميعٍ شَتيتِ
وقـــومِ أتـــوا يطلبونهما تَقِفُ الـرِّيـحُ عنهم مِـنَ الجَـــبَرُوتِ
أُنـقِّـلُ عَيْنَيَّ في القوم مابين وجـهٍ مقيتٍ ووجـــهٍ مقيتِ
أَتَـــوْا فارتعشتُ فقلتِ اثْبتي تُحْـرِزي الخيرَ يا هذِهِ ما حَيِيت
فَلَيْسَ بأيديهِمُو أن تعيشي ولـيـس بـأيـديهِـمُـو أن تموتي
سَنَحْمِي الغَرِيبَيِنِ مِنْ كُلِّ سيفٍ بريشِ الحَـمامِ وأوْهَـى البُيُوتِ
سَنَبْني المـــآذنَ في المشرقَـينِ بخيط رفـيـع وخـبـزٍ فتيتِ
أنـا من أتيتكِ أشكو السماءَ فـصرتُ أقاسمُها بعضَ قُوتي
تـقـولُ الحـمامـةُ للعنكبوتِ أُخَـــيَّ تذكرتني أم نَسِيتِ
أُخَـيَّـةُ هل تذكرين الغَرِيبَيِنِ مـا فعلا بعدنا يـا فُـدِيـتِ

أُخَيَّةُ ماذا جرى لهما

أَتُرَى سَلِما

يا أُخَيَّةُ هل تعلمينْ
لقد كان في الغار وعدٌ بأن السماءَ ستُنْثَرُ
مثل أَرُزِّ العروسِ على العالمينْ
لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجةِ
أسواقُها وميادينُها وقوافلُها وعساكرُها وصياحُ المنادينَ
بسطُ الجوامعِ آيُ المصاحفِ أضرحةُ الصالحينَ
ارتجافُ الأغانيْ ابتسامُ المسِنِّينَ
خبزُ اليتامى نقوشُ الأواني
وشايُ الصباحِ يُعَطَّرُ بالمرْيَمِيَّةِ والياسمينْ

أُخَيَّةُ ماذا جرى لهما
أَتُرَى سَلِما

يا أُخَيَّةُ هل تذكرينْ
غداةَ أناديكِ هَلْ لَكِ هَلْ لَكِ
أن نُدْخِلَ الغارَ أهلي وأهلَكِ
فالغارُ أوسعُ من كلِّ شَيءٍ
هو القَدَرُ الدائِرِيُّ الذي كانَ قبلي وقَبْلَكِ
هلْ لَكِ هَلْ لَكِ
ثُمَّ انْهَمَكْتِ لكي تَنْسِجِي للغَرِيبَيْنِ لَيْلاً حَنُوناً
يكونُ مِنَ الليلِ ليلاً بَدِيلا

وقُمْتُ أُنَسِّقُ عُشًّا فسيحاً
دَعَوتُ إليهِ الطيورَ قَبِيلا
أُخَيَّةُ فَلْتَنْظُرِي الآنَ حَوْلَكِ
ما تُبْصِرينْ؟

أُخَيَّةُ ماذا جرى لهما
أَتُرَى سَلِما

يا أُخَيَّةُ ماذا جرى
لأَرَى ما أَرَى

فلقد طُفْتُ ما طُفْتُ تحت السَّما
لم أَجِدْ أحداً منهما
وكأنهما
لم يكونا هنا
لم يحِلاً ولم يَرْحَلا
يا أُخَيَّةُ ضَيفَاكِ ما فعَلا
أَوَ لم يَصِلا للمَدِينَةِ
أم وَصَلا
يا أُخَيَّةُ ضَيفَاكِ ما فعَلا
أَتُرَى أُسِرَا أَتُرَى قُتِلا

أَتُرى بَقِيَا صَاحِبَيْنِ أَمِ انْفَصَلا
يا أُخَيَّةُ ضَيْفَاكِ ما فَعَلا

تَقُولُ الحَمامةُ للعنكبوتِ — أُخَـيَّ تَذَكَّرْتِني أم نَسِيتِ
لقد طفتُ كالشَكِّ كُلَّ البلادِ — وأنـتِ هنا كاليقينِ بَقِيتِ
فلم أُوتَ علمَك مهما عَلِمْتُ — ولم أَرْقَ يوماً إلى ما رَقِيتِ
فَـأَنْـتِ لبُنْيانِنَا كالثَّباتِ — وَأَنْـتِ لبُرهانِنَا كالثُّبوتِ
أَتَيْتُكِ أسأَلُ عن صَاحِبَيْنا — فلا تَقْتُلِيني بهذا السُّكوتِ
أراكِ أُخَـيَّـةُ لا تَنْطِقِينَ — بأيِّ الدَّواهي الإناثِ دُهيتِ
ولودٍ عَنودٍ تعودُ وتُـفْـنِـيـكِ — وَهْـيَ تُخَـلَّـدُ إِمَّـا فَنيتِ
وَأَعْـرِفُ ما ضَرَّكِ المشرِكُونَ — ولكن مِنَ المسْلِمِينَ أُتِيتِ
تقولُ الحمامةُ للعنكبوتِ — بِـرَبِّـكِ يـا هَـذِهِ لا تمُـوتي

تقولُ الحمامةُ لما رَأَتْ روحَ حارسةِ الغارِ فاضَتْ
وقد أصبحَ الغارُ من بعدِها طَلَلا
يا أُخَيَّةُ ضَيْفَاكِ ما فَعَلا

ثم قالت تَعَزَّيْ قِليلاً
وخَلِّي مِنَ الدمعِ ما هَمَلا
ثم ميلي إلى كُلِّ طفلٍ وليدٍ
وقُصِّي عَلَيْهِ الحكايةَ
قولي لَهُ:

في زمانٍ مَضَى
حلَّ في غارِنا
عَرَبِيَّانِ
وَارْتحَلا...

أمر طبيعي

أَرَى أُمَّــةً في الغارِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ تَعُودُ إليهِ حِينَ يَفْدَحُهَا الأَمْـرُ
أَلَمْ تَخْرُجِي مِنْهُ إلى المُلْكِ آنِفاً كَأَنَّكِ أَنْتِ الدَّهْرُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ
فَـمَالَـكِ تَخْـشَـيْنَ السُّيُوفَ بِبَابِهِ كَـأُمٍّ غَــزَالٍ فِيهِ جَمَّـدَهَـا الذُّعْرُ
تـقـوس منها ظـهـرهـا فكأنما هي الكرة الشهباء ليس لها ظهرُ
قَدِ ارتجفت فابيضَّ بالخوفِ وَجْهُهَا وَقَدْ ثُبِّتَتْ فاسودَّ من ظلِّها الصَّخْرُ
دخـلـتِ إليه اثـنـينِ أَوَّلَ مَــرَّةٍ نَبِيًّا وصِدِّيقاً وَشَــى بهما الوَعْرُ
يُخَبِّئُ كلٌّ منهما الفَجْرَ في الـرِّدا حِذارَ سُيوفٍ لا يَرُوقُ لها الفجْرُ
وما خــافَ حرٌّ منهما حُكْمَ ربِّهِ ولو خافَ يا أمي لكانَ لَهُ العذْرُ
فلما غـــدوتِ الــيــومَ يــا أمُّ أمـةً شعوباً شعوباً ما يُحِيطُ بها الحَصْرُ
رجعتِ إليهِ تحتمِينَ من العِدَى وفيكِ عِمادُ الحرْبِ والعسكرُ المجْرُ
فلن تَحْــرُسَ الغارَ الجديدَ حَمَامَةٌ ولا مِن خُيوطِ العَنْكَبُوت لَهُ سِتْرُ
أيــا أمــةً في الــغــارِ تبغِي حمايةً من الطيرِ معذورٌ إذا خانَكِ الطيرُ
وجبريل يــأتي الغار كــلَّ عَشِيَّةٍ ويذهبُ والغافونَ في الغارِ لم يدروا
ويا من أمرتِ الناسَ بالصبر إنني أرى الصبرَ لا يَفْنَى وقد فَنِيَ العمرُ

يا أُمَّتي يَا ظَبْيَةً فِي الغَارِ ضَاقَتْ عَنْ خُطَاها كُلُّ أَقْطَارِ المَمالِكْ
في بالِها ليلُ القَنَابِلِ والنجوم شهود زُورٍ في البروجْ
في بالِها دَوْرِيَّةٌ فيها جُنُودٌ يَضْحَكُونَ بِلا سَبَبْ
وَتَرَى ظِلالاً لِلْجُنُودِ عَلَى حِجَارةِ غَارِها
فَتَظُنُّهم جِنَّا وتبكي: «إِنَّهُ الموتُ الأكيدُ ولا سَبِيلَ إلى الهَرَبْ»
يَا ظَبْيَتي مهلاً، تعالَيْ وَانْظُرِي، هَذَا فَتىً خَرَجَ الغَدَاةَ وَلَمْ يُصَبْ
في كَفِّهِ حَلْوَى، يُنَادِيكِ اخْرُجِي لا بَأْسَ يَا هَذِي عَلَيكِ مِنَ الخُرُوجْ
وَلْتَذْكُرِي أَيَّامَ كُنْتِ طَلِيقَةً،
تَهْدِي خُطَاكِ النَّجْمَ في عَلْيائه، واللهُ يُعرَفُ من خِلالِكْ

يا أُمَّنا، والموتُ أَبْلَهُ قَرْيَةٍ يَهْذِي وَيسْرِقُ مَا يَطِيب لَهُ مِنَ الثمر المبارَكِ في سِلالِكْ
وَلأَنَّهُ يَا أَمُّ أَبْلهُ فَهْوَ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ مِنْ ألفِ عامٍ عَنْ قِتَالِكْ
حَتَّى أَتَاكِ بِحَامِلاتِ الطَّائِرَاتِ وَفَوْقَها جَيْشٌ مِنَ البُلَهَاءِ يَسْرِقُ مِنْ حَلالِكْ
وَيَظُنُّ أَنَّ بِغَزْوَةٍ أَوْ غَزْوَتَيْنِ سَيَنْتَهِي فَرَحُ الثِّمارِ عَلَى تِلالِكْ
يَا مَوْتَنَا، يَشْفِيكَ رَبُّكَ مِنْ ضَلالِكْ

يَا أُمَّةً فِي الغارِ مَا حَتْمٌ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ ظَلامَهُ
إِنِّي رَأَيْتُ الصُّبْحَ يَلْبِسُ زَيَّ أَطْفَالِ المَدَارِسِ حَامِلاً أَقْلامَهُ
وَيَدُورُ ما بينَ الشَّوارِعِ، بَاحِثاً عَنْ شَاعِرٍ يُلْقِي إِلَيْهِ كَلامَهُ
لِيُذِيعَهُ للكَوْنِ في أُفُقٍ تَلَوَّنَ بِالنَّدَاوَةِ وَاللَّهَبْ
يَا أُمَّتِي يَا ظَبْيَةً فِي الغَارِ قُومِي وَانْظُرِي
الصُّبْحُ تِلْمِيذٌ لأَشْعَارِ العَرَبْ

يا أَمَّتي أَنَا لَستُ أَعْمَى عَنْ كُسُورٍ في الغَزَالَةِ،
إنَّهَا عَرْجَاءُ، أَدْرِي
إنَّهَا عَشْوَاءُ، أَدْرِي
إنَّ فيها كلَّ أوجاعِ الزمانِ وإنَّها
مَطْرُودَةٌ مَجْلُودَةٌ مِنْ كُلِّ مَمْلُوكٍ وَمَالِكْ
أَدْرِي وَلَكِنْ لا أَرَى في كُلِّ هَذَا أَيَّ عُذْرٍ لاعْتِزَالِكْ
يا أُمَّنا لا تَفْزَعِي مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَانِ، أَيَّةُ سَطْوَةٍ؟،
مَا شِئْتِ وَلِّي وَاعْزِلِي، لا يُوْجَدُ السُّلْطَانُ إلا في خَيَالِكْ

يَا أُمَّتي يا ظَبْيَةً في الغَارِ تَسْأَلُني وَتُلحِفُ: «هَلْ سَأَنْجُو؟»
قُلْتُ: « أنتِ سَأَلْتِني مِنْ أَلْفِ عَامٍ. إنَّ في هَذَا جَوَاباً عَنْ سُؤَالِكْ»

يَا أمتي أَدْرِي بأَنَّ المَرْءِ قد يَخْشَى المَهَالِكْ
لَكِنْ أُذَكِّرُكُمْ فَقَطْ فَتَذَكَّرُوا
قَدْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ قَبْلُ وَاجْتَزْنَا بِهِ
لا شَيْءَ مِنْ هَذَا يُخِيفُ، وَلا مُفَاجَأَةٌ هُنَالِكْ

يَا أُمَّتِي ارْتَبِكِي قَلِيلاً، إِنَّهُ أَمْرٌ طَبِيْعِيٌّ،
وَقُومِي،
إنه أَمْرٌ طَبِيْعِيٌّ كَذَلِكْ.

القهوة

صُبّي لعمك يا نَوَارُ القهوةْ
لا تستحي من عمِّكِ التاريخْ
قد زارنا من قبلُ
كنت صغيرةً
لا تذكرينْ

لا تسرقي أقلامَهُ
لا تهزئي من شكلِهِ
هو هكذا
الوجه مرتجل الملامِحِ
عنده أيدٍ كأيدي آلهات الهندِ، لا تُحصى
ويصبح طائراً إن شاءَ،
طاووساً، نعاماً، أو دجاجاً صاخباً
ويطير أو يمشي،

ويزحف أو يغوصُ

وخلفه أثر طويلٌ بين دائرةٍ وخط مستقيمْ

لا تكثري، هو لن يجيبك بالكلامْ

هو واثقٌ من نفسِهِ

لا شيء يربكه، ويرتبك الذين يحاولون بجهلهم إرباكَهُ

هو عمُّك الوغدُ اللئيمْ

هو عمُّك الشهمُ الكريمْ

هو مُحْدَثٌ، وعليه أجمعَ أكثرُ المتكلِّمينَ،

وإن يَكُنْ في وجْهه شيءٌ قديمْ

لا صوتَ يُسْمَعُ حينَ ينطقُ

بل مقاطعُ من شرائطَ سجلت عبر العصورِ وعولجت من بعدُ رقْمياً

مزيج من تراتيل المعابد، أو جدال مجامع كنسيةٍ

عن واحد في اثنين ضد ثلاثة في واحدٍ،

الله أكبر في قتال المسلمين وفي مجالس أنسهم وغنائهم

وفضول أسئلة أجيبت من قديم الدهر يرجع طازجاً

ويثير فينا بسمة من جهل سائلها بها

ويثير فينا ربما بعض الحنينْ

«أتظن تركيًا ستعلنُ عن دخولِ الحربِ مع ألمانيا»

«هل يدخلون دمشقَ؟»
هل سترد أنطاكيةُ الإفرنجَ أم يصلون حتى القدسِ؟
ما قال الخليفة للمبلغ أنهم وصلوا؟
أيبقى من بني مروان من أحدٍ؟
علام تظن أن قريشاً اجتمعت بدار الندوةْ؟
صُبِّي لعمِّكِ يا نَوَارُ القهوةْ

يا بنتُ كُفِّي عن إثارَتِهِ
فَعَمُّك مجرمٌ
الله يعلمُ كم من الأقوامِ أفنى، غيرَ منتبهٍ لما صنعت يداهُ
وغيرَ مكترثٍ بهم
لا تغضبيه فإنه، رجلٌ بطيءُ الرد لكن ليسَ بالرجلِ الحليمْ

أَعَلِمْتِ فيمَ أَتى إلينا اليومَ،
صُبي قهوةً أخرى،
نوارُ أتذكرين بحربِ لبنانَ الأخيرةِ
كنتِ ترمينَ البذورَ على الجبالِ
وكنتُ حين سألتُ: «ماذا تصنعينَ؟» أجبتني:
«إن السماءَ إذا الطيورُ ملأنها قد لا ترانا الطائرات خلالها»
قد جاء عمُّكِ بين أسرابِ الحمامِ وحطَّ عندكِ
قال إنك كنت طيبةً فجاءَ يراكِ

هل ستعيش إسرائيلُ بين المؤمنينْ؟
سألت نوار عمَّها
وفضول عينيها جميلٌ كالطفولةِ فكرةً
وحياتها ، في لحظتين تعلقت بجوابِهِ
ورأيته للمرة الأولى تبسم منذ آلاف السنينْ
هذا سؤال تعرفين جوابه يا حلوةْ
صُبِّي لعمِّكِ يا نَوَارُ القهوةْ

خط على القبر المؤقت

جمـوعٌ كـلٌّ من فيها وحيدُ ... ووَحْشَتُها تزيد إذا تزيدُ
وكـل فـوقَـه غَـيْـمٌ بخيلٌ ... وكـــلٌّ تحـتـه أرضٌ تميدُ
وكـل قـلـبُـهُ طـيرٌ مـلـولٌ ... يريدُ العيشَ بعدُ ولا يريدُ
وكـل لابـسٌ ثـوبَ المنايا ... شهيدٌ في جنازته شهيدُ
غريبُ الناسِ من يحيى شريداً ... وفي المـوتـى لـه قـبرٌ شريـدُ
وللقبرِ المؤقّتِ ألفُ معنى ... يضيقُ بها على السَّعَةِ النشيدُ
وما تبيَضُّ بالقَمَرِ الليالي ... ولكن هُنَّ حينَ يَغيبُ سودُ

سيدي:
يا ورطةَ الشُّعراء
سأمدح ضعفَك لا قوتَكْ
سأحملُ كيساً من الخيش،
كالشحاذينَ أمرُّ به على الناسْ،
أجمعُ فيه كل لغاتِ الأرضْ
ثم أفرشُها،

ثم أجمعُها
ثم أفرشُها،
تتناثرُ الحروفْ
فَتُشَكِّلُ كلماتٍ غيرَ مفهومةْ
وأخرى لا تُفْهَمُ إلا بالصُّدْفَةْ،
سأفعلُها ألْفَ مرَّةٍ
وألْفَ مَرَّةٍ
وألْفَ مَرَّةْ،
ولا بُدَّ من مَرَّةٍ
أن يَنْكَتِبَ النَّصُّ الذي أُرِيدْ،
فَأَقْرأَهُ، وَأَرْثِيَكْ...

سأحملُ كيساً من الصُّوفْ،
وأمرُّ به على الناسِ كالشحاذينْ،
يضعُ كلٌّ منهم فيهِ شَيئاً:
قطرةَ نَدَىً،
حذاءً قديماً،
هندامَ مقاتلٍ في بيروتْ،
يطلقُ النارَ من زاويةِ الشارعْ
منتبهاً للعَدُوِّ
ولذوقِ الفَتَياتْ،

دموعَ الخروجُ إلى البَحرْ،

الكوفيةَ الرقطاءَ والشَّعْرَ الطويلْ،

الكاكيَّ المُشَمَّرْ،

وشمسَ آبْ،

تُحِسُّ بالذَنْبِ لأنَّها لا تُحَذِّرُنا،

لم يَأْذَنْ لها اللهُ أن تُحَذِّرَنا،

مما تَنْوِيهِ لنا شمسُ الشهرِ التالي،

أضعُ الشمْسَينِ في الكيسِ وأُكْمِلْ،

أضعُ صياحَ امرأةٍ تنادي الموتى في مقبرةٍ بلا شواهدْ،

سؤالَ الصَّحَفِيِّ، إلى أينَ تذهبونَ من هنا،

والجوابُ إلى القُدْسْ،

أضعُ القدسَ في الكيسْ،

الحروفَ الثلاثةْ،

و آلافَ السنينْ،

ماضِي المدينةِ صدَىً حولَ حاضرِها،

والصَّدَى خُدْعَةٌ تُظْهِرُ الصَّوْتَ إلهياً وأَصْفَى،

يدفعُ المرْءَ دائماً للغناءْ،

بِغَضِّ النَّظَرِ عن جَمَالِ صَوْتِهْ،

وكلُّ مغنٍّ مفتونْ،

إذاوَضَعَتْ أمٌّ طِفْلَها في القُدْسِ تَلَقَّاها مَلائِكَةٌ وَجُنُودْ،

وغابت عنها سيارةُ الإسعافِ، وطاقَمُ التمريضْ،

ماضي المدينةِ صَدَىً،
ألمُّ الصَّدَى من فوقِ رءوسِ الجبالْ
وأضعُه في الكيسْ
أدقُّ على الناسِ الأبوابْ
أضعُ ما تَصَدَّقَ به القومُ من ثيابِ شُهَدَائِهم،
نشراتِ الأخبارْ،
مَشْيَكَ بينَ الأنقاضْ
رِعْشَةَ يَدِكَ وأنتَ تُسَلِّمُ على عَدُوِّكْ،
ابتسامَكَ له مَهْزُوماً،
افتعالَك المتْقَنَ للسَّعَادَةِ الغامِرَةِ برُؤْيتِهْ،
كذبَكَ عليه،
وكذبَكَ علينا،
كذبَكَ على نفسِكْ،
أَضَعُهُ في الكِيسْ،
ألمُّ أكياسَ الرَّمْلِ من أيامِ حِصَارِكْ
أَكْتُبُ على كلِّ كيسٍ اسمَ المدينةِ التي جاءَ مِنْها
الرَّمْلُ رَمْلٌ كريمْ
تتنكَّرُ له المدُنُ ذاتُ الفنادقِ والحاناتْ
ثُمَّ لا يحميها غَيْرُهْ
بَدَوِيٌّ جافّ
لا يعرفُ الفَرَنْسِيَّةْ

ولا يَشْرَبُ الخَمرْ
يأخذُ الرَّصاصَ عنها
ويبقَى هادِئاً
الرملُ رملٌ كريمْ

أبو جهادْ،
أبو إيادْ،
يدخلون من بوَّاباتِ الله،
الباقونْ، كَلاًّ
فليبقَوا خارجاً،
لم يموتوا بعد،
والله يعلمُ ماذا يُحْدِثُونَ بَعْدَكْ،
بنو أُمَيَّةَ لا يَأْمَنُهُمْ عَاقِلْ،
وإنَّ بينَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيًّا،

أَضَعُ ذهولَ عينيكْ
الحقيقيَّ والمصطَنَعْ،
في زمانِكَ كيفَ تُذْهلُ؟
في زمانك كيف تَكُفُّ عن الذهول؟
دهشةٌ متوقَّعَةٌ دائماً،
كبيتِ الرعبِ في مدينةِ الملاهي،

أو كمدينةِ الملاهي في بيتِ الرعبْ
أضع ارتباكَ شَفتَيْكْ،
تقبيلَكَ النَّاسْ
أختارُ قبلةً واحدَةْ
لضمادٍ على يَدٍ صَغِيرَةْ
لن تَنْضَمَّ أصابعُها على شيء أبداً
إلا على قُبْلَتِكْ
فتَرْضَى بها
وتَرْضَى عَلَيْكْ

أضع إصرارَك على تكرارِ الكلامْ
لُغتَكَ الإنكليزيةَ العَرْجاءْ،
إحساسَنا بالاخْتِنَاقِ كلَّ مرَّةٍ تُوَقِّعُ فيها على ورقةٍ يُناولُها لك القُنْصُلْ،
وداعَتَكَ الكَلِيلَةْ،
نراها للمرَّةِ الأولى في صورتِكَ الأخيرَةْ ،
أضعُ البيجاما الزرقاءَ وقُبَّعَةَ الصوفِ في الكيسْ،
كأنك رضيتَ بالإجابَةْ ،
سلَّمْتَ الوَرَقَةَ إلى المُراقِبِ الأعظمْ،
لم يَعُدْ عِنْدَكَ صَبْرٌ أنْ تُراجِعَها،
نَظَرْتَ إلى الأسئلةِ والإجاباتْ،
قُلْتَ: «هذا أنا،

أتعبَني الامتحانُ جداً،

الحمدُ لله، انْتَهى،

كلُّ شيءٍ بعدَها مقبولْ،

أيها المراقبُ خذْها،

لطالما اقْتَنَعْتَ بِدَوْرِ المراقِبِ ولم تَتَدَخَّلْ،

حتى والقومُ يهُزُّونَ قوائِمَ عَرْشِكْ،

حتى والمكانُ ينهارُ علينا وعَلَيْكْ،

وكأَنَّكَ إن تحرَّكْتَ خَسِرْتَ وَقَارَكْ،

هَيبَتَكْ،

وَخَسِرْتَ بُعْدَكْ،

هل تكونُ قريباً أبداً

أم أنَّكَ أنتَ البعدُ عينُه

فلا قربَ لَكْ،

أيها المراقبُ الأعظمُ خُذْها، لا تَرْدُدْها إلَيّ،

صحِّحْ وَقَيِّمْ ما شِئْتْ،

أما أنا، فمُتْعَبٌ جداً،

وأنتم أيها الباقونَ بعدي في القاعةْ،

تماسكوا ما تماسَكَتْ حولَكم جدرانُها،

ومن شاءَ منكم الخروجَ فلا خَيْرَ في بقائِهْ،

افعلوا بعدي ما تشاءونْ ،

أَحِبُّوني أو لا تُحِبُّوني،

قدِّسُوني أو لا تَفْعَلوا،

لكن اعلَمُوا،

أنني لم يَكُنْ لي قَوْمٌ سِواكُمْ،

أُحِبُّكُمْ، لأنني ليسَ لي أَحَدٌ أحِبُّه غيرَكم،

سلامٌ عليكم،

هذه قدرتي»،

أَلُمُّ كلامَكَ هذا كالوَبَرِ من عَلَى سُتْرَتِكَ وَقُبَّعَتِكَ الصوفْ

إذ تركبُ المْروَحِيَّةْ،

أمُرُّ بالكيس على باعةِ الجرائدْ،

كل يضعُ فيه شيئاً،

سلاماً، دمعةً، غضباً، حَيْرةً،

إنَّ لكُلٍّ منَّا سَهْماً فيكْ،

أيها المنسوجُ منا،

شهدائِنا وأوغادِنا،

أيها الحاكمُ المحكومْ

أيها الجبارُ المهزومْ،

أيها المبتسمُ المهمومْ

أيها الظالمُ المظلومْ،

أَلُمُّ الصِّفاتِ وأضدادَها من القواميسْ

أضعُها في الكيسْ

أضع صورتي واقفاً بين يَدَيْكْ

عُمْري أرْبَعُ سَنَواتْ
أُرِيكَ شَطَارَتي وَمَعْرِفَتِي بالأبجدِيَّةِ فخُوراً،
أغضبُ لأنَّكَ لم تَنْتَبِهْ،
أضعُ الصُّورَةَ في الكيسْ،
أضع الكيسَ أمامي،
أَرْكِزُ عليهِ عَلَماً،
أكتب عليه اسماً وتاريخينْ
أَجعلُهُ حَوْلَ الرِّقابِ حِجَاباً:

أَقُولْ:
ألا أيها الناسُ عندي حجابٌ،
سيجعلُ كلَّ القبورِ مُؤَقَّتَةً، فَخُذُوهُ،
فمن ماتَ منكم وهذا الحجابُ على عُنْقِهِ،
لن يموتَ، وإن ماتَ، إلا قَلِيلا
ومن عاشَ وَهْوَ على عُنْقِهِ
عاش يحملُ حِمْلاً ثَقِيلا

ألا يا نسيجاً تَشَابُكُهُ كنُقُوشِ المُصَلَّى
حَنَانَك حتى البكاءُ عليكَ أراهُ سيحتاجُ شَرْحاً طوِيلا
ويبقى البكاءُ على رَغْمِ كُلِّ الشُّرُوحِ لَهُ غَامِضاً وَيُقَصِّرُ عَنْكَ،
وَحَقِّكَ لَسْتُ بِدَارٍ لماذا نُحِبُّكَ ،

لكنني أَتَأَكَّدُ إذ يُظْهِرُ القولُ لي نَفْسَهُ أن سَيَبْقَى رِثَاؤكَ،
والشُّكْرُ والمكْرُ يَرْجِعُ في هَذِه لَكَ يا سَيِّدِي،
أَقُولُ، سَيبْقَى رثاؤكَ
يا شَيْخَنَا
مُسْتَحِيلا

أمير المؤمنين

(إلى السيد حسن نصر الله)

فِي انقطاعِ الكهرباءْ

تحتَ القصفْ

وحدي في البيتْ

كنتُ ما أزالُ أحاولُ وصفَ الديارْ

خطُّ الأفق مُتَعَرِّجٌ من حطامِ المباني

والدخانُ دعاءٌ عابسْ:

ديـار بـبـيروتٍ وأخــرى ببغدادِ   عييٌ بها الناعي عييٌ بها الشادي

لقد كنتُ أبكي في طلولٍ لأجدادي   فأصبحت أبكي في طلولٍ لأحفادي

امتدت يدٌ من ورائي

تَعَدَّتْ أربعةَ عَشَرَ قرناً،

رَبَّتَتْ عَلَى كَتِفِي:

لاتَخَفْ، لستَ وحدَك، ما دُمنا معك فلن تَنْقَطِعْ

والتفتُّ فإذا بهم جميعاً هنا
سُكَّانُ الكُتُبْ
أَئِمَّةٌ وحُدَاةٌ وشعراء
كيميائيونَ وأطبَّاءُ ومُنَجِّمُون
وخيلٌ تَمْلأُ البيتَ وتفيضُ على الشارع
وتخوضُ عِدَّةَ أميالٍ في البحر

وسْطَهم على شاشةِ الفضائيةْ
نَظَرْتُ إليه
أميرُ المؤمنينَ بعمامةٍ سوداء
علامةُ نَسَبِهِ للحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالبْ
ثم إنَّ العربَ إذا طلبت الثأرَ تَعَمَّمَتْ بالسوادْ
ثم إنَّهُ لَفَّ الليلَ عَلَى رأسِهِ وأَصبحْ
ثم إنَّهُ ذكَّرَني،
وكُنْتُ قد نَسِيتُ،
أنني ذو كرامةٍ على الله

مِـنْ آلِ بيتِ الرسولِ يا حَسَنُ — مَنْ لَو وَزَنْـتَ الدُّنيا بهم وَزَنُـوا
جُزِيتَ خـيراً عن أُمَّـةٍ وَهَنَتْ — فَقُلْتَ لا بـأسَ ما بكم وَهَـنُ
لِـيَـذْكُـرَ الـصُّبْحُ أَنَّـهُ نَفَسٌ — وَيَـذْكُـرَ الـليـلُ أنَّـهُ سَكَـنُ
وَيَـذْكُـرَ الـرُّوح أَنَّـهُ جَسَـدٌ — وَيَـذْكُـرَ الـسِرُّ أنَّـهُ عَـلَـنُ

وَيَــذْكُــرَ الـغـيـمُ أنــه مطرٌ		وَتَــذْكُــرَ الأرضُ أنهـا وطـنُ
ويَــذْكُــرَ الـطـينُ أَنَّــهُ بَـشَرٌ		تَــذَكُّــراً قـد يـشـوبُـهُ الشَّجَنُ
وأَنَّــه ربــما اشْـتَـهَـى فَـرَحـاً		وربــما لا يَـروقُــهُ الحَــزَنُ
وربــما لا يَــوَدُّ عِـيـشَـةَ مَـنْ		أنـفـاسُـهُ مِــنْ أعـدائِـهِ مِـنَـنُ
وأَنَّــهُ في قـتـالهـم رَجُــلٌ		وأنــه في جـدالهـم لَـسِـنُ
فقد يُجِــنُّ الجـنـانُ مـن رَجُــلٍ		في الحَــرْبِ ما لا تُجِـنُّـهُ الجُنَنُ
خليفةَ الله بـأسْـمِـكَ انتشروا		خَلقاً جَديداً من بعد ما دُفِنوا
إنَّــا أَعَــرْنــا الأمــيرَ أنفَسَنا		وَهْـوَ عَليها في الكَرْبِ مُؤْتَمَنُ

واامتدَّت اليدُ إلى السماء،

مُتَعَدِّيَةً أربعة عشر قرناً،

ونَزَعَتِ الليلَ عنها برفقْ

نَزْعَكَ الضمادَ أو اللثامْ

فإذا تحته ليلٌ آخرْ

فَنَزَعَتْه أيضاً

وهكذا ليلاً بعد ليلْ،

كأنها تَقْلِبُ صَفَحَاتٍ في كتابْ

وكلَّما قَلَبَتْ صَفْحَةً منهْ

شَفَّت الصفحاتُ الباقيةُ عن كلامٍ ما:

ألا تَرَى النبوءة

سلاحهم يَهوِي

وسلاحنا يَصعدْ

نما لبلابٌ على الصاروخ،
والتفَّ عليه حتى كَسَاه
ثم أزهرْ
صاح وَلَدٌ، الله أكبر
وهوى سقفُ إسرائيلْ
دخلوا إلى الملاجئ،
كالترابِ تحتَ البساط
أصلُ الإنسان تُرابْ
ولكنَّ فرعَه السماءْ
وثمارُه سُكَّانُها
راقبتُ الفضائياتِ وتَذَكَّرتُ،
إنَّ الله، رغم كل شيء، حقيقةٌ علميةْ

في انقطاع الكهرباء
تحتَ القصفْ
لستُ وحدي
وإن الليلَ أسودُ كالتمرْ
كل ليلةٍ تَمْرة،
وما زالت اليد،

تقطفها تمْرةً تمْرةً

وليلةً ليلةً

وإنه ليس بيني وبين الجنَّةِ إلا هذه التَمَراتْ

وامتدَّت يدٌ

مُتَعَدِّيَةً أربعةَ عَشَرَ قرناً

فصافَحَتْني

وبايَعْتُها

وكنتُ ما أزال أحاولُ وصفَ الديار

وأنقل القصيدة من القافية المكسورة

إلى القافية المرفوعة:

ديـارٌ تَغَلاَّها من الـدهـرِ ناقدُ	تَجـفَّـلُ عنها كالنَّعامِ الشدائِدُ
ديـارٌ يَبِيتُ الدهرُ جِـرْوَاً ببابها	تُلاعِبُهُ عِنْدَ الصباحِ الولائِدُ
وغيمٌ كطيَّاراتِ طفلٍ يَشُدُّها	بِخَيْطٍ فَـيُـدْني بينَهَا وَيُـبَـاعِـدُ
يَظَلُّ عليها عاكفاً مِثْلَ مُحْـرِمٍ	يَرَى نَفْسَهُ مِنْ مَكَّةٍ وَهْـوَ وَافِدُ
وتُـنْـقَـشُ في جُـدْرانهـا كـلُّ آيَةٍ	فـتَرْتَـدُّ في نحرِ الليالي المكائِدُ
ومِن حَولِها الخيلُ العِتاق تجمَّعَتْ	بِــلا لُجُـــمٍ مُسْتَأْنَسَاتٌ أَوَابِدُ
خُـيـولٌ أطاعت راكِبِيها محبةً	وَلَـيْـسَ لها حتَّى القِيَامَةِ قَائِدُ
وَلَيْسَتْ بأطلالٍ ولَسْتُ بِشَاعِرٍ	ولكنَّني فيها لأهــلِيَ رائِـــدُ
أراهــا قريباً ليسَ بيني وبينَهَا	سِــوَى قَـصْـفِ هــذا الليل...

١٨ تموز يوليو ٢٠٠٦

سفينة نوح

(إلى السيد حسن نصر الله)

حمامُ البُروجِ يُصَلِّي عَلَيكْ
تُعَلِّمه الجودَ يا بنَ النبيِّ
تناولُه بيمينك قمحاً رطيباً
فيأخذه ويطير جنوباً
ولا يأكل الحَبَّ
بل هو ينثره في الجبالِ
لبعض النساء وبعض الرجالِ
ويسألهم عن مسار القتالِ
ويأخذ منهم سلاماً إليكْ
ولو سأل الصَحَفِيُّ الحمامَ
لقالَ بأن السماءَ هنا لتُظِلَّكَ أنْتَ
وأَنَّكَ أنتَ فردتَ السماءَ له بيديكْ
حمامُ البُروجِ يُصَلِّي عليكْ

يصلِّي عليكَ هواءُ البلاد
إذا ما تعالى عليه دخانُ المقاهي
يشيبُ له الجوُّ بضعَ دقائقَ
ثم يعودُ شباباً إذا عبرت نسمة في الطريقْ
نسمةٌ من رجالٍ مقاتلةٍ في الخلا والمضيقْ
أزاحوا دخانَ القنابل عن صَفَحاتِ المؤرِّخِ
حين رأوا جنةً خلفَ هذا الحريقْ
وهم درَّبوا الموتَ حتى غدا تابعاً طيعاً
وهم علَّمُوا الحربَ درسَ الجمالْ
وهم رقَّقُوا من حواشي الجبالْ
فصارت لهم مثل عم وخالْ
وقيل لهم أنتم المفردونَ
فقالوا ولكننا المفردونَ معاً
وجابوا القرى
نسمةً من رجالٍ وسحرٍ حلالٍ على جانِبَيْكْ
هواءُ البلادِ يصلِّي عَلَيْكْ

تُصَلِّي عليكَ البحارُ إذا التَأَمَتْ بعدَ سِفْرِ الخروجِ
فقد مَرَّ جمعُ الغزاةِ إلى التيهِ
والله يجمع شملَ المياهِ
يعانق كل غريب من الموج أسرتَهُ

وأكاليل من زبد البحر طارتْ
تسبح من جمّع الغرباءَ لَدَيْكْ
مياهُ البِحارِ تُصلِّي عليكْ

تصلي عليك زهور المروجِ
ينام الأُطَيْفَالُ فيهنَّ مثلَ الرحيقْ
سجوداً لغير سجودٍ، نياماً لغير منامْ
تأبد منهم سكوتٌ، تأبد منهم كلامْ
زهورٌ عليها ندىً من غبارٍ،
زهور عليها ندىً من ركامْ
وكان المدرِّسُ من فَرْطِ ضجَّتهم يشتهي لو يُقَيِّدُهم بالحديدْ
وهم يضحكونَ لأنَّ الحديدَ إذا مسَّهم صار حَلْوَىْ
وهم يضحكون بخبثٍ وقد غيروا كلماتِ النشيدْ
نَهَتْهُم عَنَ الضَّحِكِ الطائراتُ فلم ينتهوا
لم يَكُنْ من صمودٍ ولا من عنادٍ ولكنَّهُ طبعهم
من رأى صبيةً يسمعونَ كلامَ الكبارِ على أيِّ حالْ
يطرقُ الموتُ أبوابهم مثلَ جيشِ احتلالْ
ويقول أنا الموتُ
جئت، افتحوا
كلما جئتكم قيلَ لي نائمونَ، افتحوا
يفتح الباب طفل ويسأله وهو يَفْرُكُ عَيْنَيهِ

ماذا تريدْ

ويتركه حائراً في جوابِ السؤالْ

سترفعُ ضحكاتُهم، مَيِّتينَ، كجرافةٍ، كلَّ هذا الحُطامْ

وترسمُ للموتِ بالحبرِ وجهاً عليهِ بسخريَةٍ، شاربٌ وابتسامْ

فَضِحْكَاتهم في البيوتِ سوى ضِحْكَةٍ من مكانٍ بعيدْ

تقولُ اقبلوا العذرَ مِنَّا

إذا ما جُننّا

نموتُ ونَضحكُ، هل من مزيدْ!

يُقيم قيامتَنَا الطفلُ منهم، ويذهبُ حيثُ يكونُ الكِرامْ

يَقَبِّلُ كَفَّكَ: «سلِّم على الصُّبحِ باسمي غَداً»

ثمَّ يَدْخُلُ في زهرةٍ لينامْ

تَضُمُّ على الطفلِ أوراقَها،

وَتُدَ لله، وَتُنَاجِيهِ:

نمْ يا حُبَيِّبُ

نمْ يا شُهيِّدُ

نمْ يا أُمَيِّرُ

نمْ يا مُلَيْكْ

زهورُ المروجِ تُصلِّي عَلَيْكْ

تصلي عليك التي اتَّشَحَتْ بالسوادْ
وليس لها ميتٌ كَيْ تُقيمَ عليه الحدادْ
أُمَّةٌ تتفرس في قَسَماتِك
تمُسِكُ طَرْفَ كِسَائِكَ
وهي على سنِّها عَرَفَتْهُ،
وقامت تناديكَ يا حَسَنَ الخيرِ
هذا كساءُ النبيِّ وهذي عِمَامَتُهُ
هذه بُرْدَةُ الخلفاءِ على كَتِفَيْكْ

ولم تتكلم حياءً
فهذا مَقامُ الحياءْ
ولكنها وقفت مثل ظبيٍ ببابِ خباءٍ
يرى فيه سيفاً وعُسَّ حليبٍ، وطفلاً عليهِ المهابةُ
فيه فضول وفيه اشتياق وفيه وفيه
يشير «تعال» لظبي يليه وظبي يليه
إلى آخرِ الأرضِ صَفًّا طويلاً
على سِنِّها وَقَفَتْ في العراءْ
أُمة من ظباءْ
أُمة من حمامْ
أُمة من رجالْ
أُمة من نساءْ

أُمة في الركامْ

أُمة في السماءْ

أُمة متعبةْ

جدةٌ في صلاةِ العشاءْ

تراقبُ نشرةَ أخبارِكُمْ

وَهْيَ ممسكةٌ بالعباءَةِ

كالطفلةِ المستجيرَةِ

تنتظرُ الخبر المُشتَهَى

فلما رَأَتك بوجهٍ جَميلْ

نهيتَ الزمانَ كذا فانْتَهَى

أقامت من الشِّعْرِ وزنَ الطويلْ

وقالت:

« أُبَايِعُكُمْ يا سَيِّدِي وَابْنَ سَيِّدِي إذا كُنْتُ أَهْلاً أَنْ تُصَافِحَكُمْ يَدِي

فَأَنْتَ كَرِيمُ الأَصْلِ والفَرْعِ والجَنَى وَأَنْتَ الرِّضَا مِنْ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدِ

وَمَنْ أُمُّهُ الزهراءُ تشفعُ للورى ووالدُهُ الكرَّارُ في كلِّ مشهدِ

وأنتَ سَلَكْتَ الوعرَ بالناسِ هادياً وغيرُكَ ضلُّوا في الطريقِ المُعَبَّدِ

وأنت رَدَدْتَ الناسَ ناساً فأصبحوا وكانوا بليلٍ ليسَ يصبحُ سرمدِ»

وصار الكساءُ سفينةَ نوحٍ

رَسَتْ مِن قُراهُمْ عَلَى مَقْرَبَةْ

وإنَّ صفوفاً من المؤمنينَ
لَتنتظرُ الإذنَ منكَ لتدخلَ فيه
فتشملَهم عصمةُ الله بين يديكْ
فقد أصبحوا الآنَ أهلَ الكِساءِ
وأعني بأهلٍ، جدِيرِينَ أَنْ يَدْخُلُوهُ
وأعني هُمُ الأهلُ، إخوتُهُ وَبَنُوهُ
وَهُمْ رَغْمَ أَخْطائِهم، نَسَجُوهُ
فيابنَ عليٍّ وفاطمةٍ بنتِ أحمدَ
حدِّق بأعينهم، واحداً واحداً
عندما يصعدون إلَيْكْ
وَصَلِّ على مَنْ يُصلِّي عَلَيْكْ
لأنَّكَ سوفَ ترَى
في عيونِ الورَى
عِنْدَها
والِدَيكْ

١٥ آب أغسطس ٢٠٠٦

الأَمْر

الخيلُ تَرْكُضُ في الشوارعِ
أوقَفَ الشُّرْطِيُّ سيلَ المرْكَباتِ وفرَّ منها هارباً
خيلٌ رمت أوزارَها في الريحِ ثم تَرَاكَبَتْ مَوْجَاتُها بِيضَاً ذُراها
الخيلُ تَرْكُضُ في الشَّوَارِعِ لا تَرَى إلا هَوَاها
ركضاً إلى الموتِ الحصينِ تُحَاصِرُهْ
الموتُ ماتَ لأنها لم تَخْشَهُ
لا تحسبوا الآجالَ أعدادَ النُّفُوسِ، فإنَّنا زِدْنَا على الموتِ الكثيرِ عَشَائِرُه
هُوَ لا يبادِرُنا ونحنُ نبادِرُه
ويشكُّ عزرائيلُ في سُلْطَانِهِ
فَتَرَاهُ يَأْمُرُ، ثم يَنْظُرُ هل تُطَاعُ أَوَامِرُهْ
الخيلَ تَرْكُضُ في الشَّوَارِعِ حُرَّةً،
أطللتُ من شُبَّاكِ داري ناظراً للشارعِ الملآنِ من أعلَى
ومقابلي في الضِّفَةِ الأُخْرَى
وَقَفَ العَدُوُّ مُرَاقِباً

لهباً تَوَحَّشَ في البُيُوتْ،

قَلَقِي مِنَ اطْمِئْنَانِه

هذي الخيولُ أرى لها في آخِرِ المجرَى العظيمِ رَدَاها

إن الورودَ إذا رأيتَ ذُبُولها سَتَرَاهُ حينَ تَرَاها

قاسٍ عليَّ حمامُها

وعلى عَدُوِّي حينَ تهلكُ بردُها وسلامُها

أدري ويدري بالمصيرِ فينتشي وَأَمُوتْ

لكنَّ رعداً خافتاً يعلو وزلزلةً وصوتاً من سماءِ الله يأتي

تالياً شيئاً شبيهَ السُّورَةْ

الخيلُ أَدْرَى بالذي تَسْعَى لَهُ

فلتتركوها،

إنها مَأْمُورَةْ

ابن مريم

لقد صلبوهُ فماذا بربِّكِ تنتظرينْ
لقد صلبوهُ وليس مسيحاً ولا ابن إلهْ
لقد صلبوهُ لِسِرْقَتِهِ المالَ أو قولِهِ الزُّورَ أو سَفْكِهِ الدَّمَ أو أيِّ ذَنْبٍ جناهْ
ولم يصلبوهُ لدعوى ودينْ
فماذا بِرَبِّك تنتظرينْ

ويا أُمَّهُ لم يَكُنْ يُبْرِئُ الصُّمَّ والبُكْمَ والعُمْيَ
لم يُخْــرِجِ الجنَّ من رأسِ مصروعةٍ مؤمِنَةْ
وما رفَّ من بَيْنِ كفَّيهِ طَيْرٌ
ولم يَتَحَدَّ المُرائينَ والكَهَنَةْ
ولم يأْتِهِ في لياليهِ رُوحٌ أمينْ
فماذا بِرَبِّك تَنْتَظِرينْ
ويا أمَّهُ لم يكُنْ فيهِ أيُّ اختلافٍ عن الآخَرِينْ

ولكنَّها عندَ نافذةٍ يلمعُ القبرُ من تحتِها
بَقِيَتْ والدقائقُ تَتْرُكُ آثارَها في الجبينْ
بـعـيـنٍ عليهِ وأُخْرَى على زُرْقَةٍ في السماءْ
تُشَكِّلُ تمثالَهُ في الهواءْ
وصَلْصالُها الانتظارْ
فإن أَكْمَلَتْهُ انْحَنَتْ فَوْقَهُ
وظلَّت على حالها هكذا
إلى أن يمرَّ النهارْ
إلى أن تمرَّ السنينْ.

حصافة

فِي ذاتِ يومٍ حارِقٍ، جَلَسَتْ لِتُرْضِعَ طِفْلَهَا تَحْتَ السَّمَاءِ
نَاغَى بِخَمْسِ أَصَابعٍ تَهْدِي لِثَدْيِ الأُمِّ شَيْئاً مِنْ خَدَرْ
لم تَبْتَسِمْ
وكأنَّهُ بين اليَدَيْنِ مُهِمَّةٌ أو واجبٌ لا بدَّ منهْ
وتلفَّتَتْ لترى مصارِعَ أهْلِها
بالله دعني الآنَ من ذِكْرِ الحسَيْنْ
من حولها جُثَثٌ على الصَحَراءْ
والنخلُ ليسَ بقائمٍ أو مائلٍ بل بَيْنَ بَيْنْ
ناحت على القَتْلَى النساءْ
أعني اللواتي لَسْنَ في القَتْلى
وأعني لَيْسَ بَعْدْ
شَبَّهْتُ أَرْدِيَةَ السوادِ على الرمالِ بِجِلْدِ فَهْدْ
والفَهْدُ مَكْتُوبٌ على مِخْلابِهِ التَّارِيخْ
من حولها جُثَثٌ بأبوابِ البُيُوتْ

من حولها نَسَقٌ يَمُوتْ

وَتَلَفَّتَتْ لِتَرَى مَلامِحَكُمْ
يأيُّها اللاهونَ بالدِشْدَاشَةِ البَيْضَاءِ يا بَيْضَ النَّعامْ
لا تقتلوهُ بِرَبِّكُمْ
قد تَعْلَمُونَ بَأَنَّ أَعْنَدَ خَلْقِ خَالِقِهِمْ هُمُ الموتَى
وأن القبرَ لا يَنْسَى وَيَحْفَظُ ثَأْرَهُ
والدَّينُ دَينْ
إن حَلَّ حَلْ
باللهِ دَعْني الآنَ من ذِكْرِ الحُسَيْنْ
ولأنَّكُمْ قَوْمٌ وَضَعْتُمْ نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ مَصَالِحَكُمْ
لا تَقْتُلُوهُ بِرَبِّكُمْ
فَعَلَى الأَقَلْ
أَبْقُوا عِرَاقِيًّا وَحِيداً
كَيْ
يُسَامِحَكُمْ.

قفي ساعة

قِفِي ساعةً يَفْدِيكِ قَوْلي وَقَائِلُهْ وَلا تَخْذُلِي من باتَ والدَّهْرُ خَاذِلُهْ
ألا وَأنْجِدِيني إنَّني عَزَّ مُنْجِدِي بِدَمْعٍ جَـوَادٍ مَا يُخَيَّبُ سَائِلُهْ
إذا ما عَصَاني كُلُّ شَيءٍ، أَطَاعَني وَلم يَجْرِ في مَجْرَى الزَّمَانِ يُبَاخِلُهْ
بإحدَى الرزايا أبْكِي الرزايا جَمِيعَها كذلكَ يَدْعُو غَائِبَ الحُزْنِ مَاثلُهْ
إذا عَجَزَ الإنسانُ حتى عن البُكا فقد باتَ محسوداً على الموتِ نائلُهْ
يطولُ انتظارُ المرءِ إقبالَ عَيْشِهِ فَيُدْبِرُ حتى ينزِلَ القبرَ نَازِلُهْ
وإنَّكَ بينَ اثنينِ فاْخْتَرْ ولا تَكُنْ كَمَنْ أَوْقَعَتْهُ في الهَلاكِ حَبَائِلُهْ
فَمِنْ أَمَـلٍ يَفْنَى لِيَسْلَمَ رَبُّـهُ وَمِـنْ أَمَـلٍ يَبْقَـى لِيَهْلِكَ آمِلُهْ
فَكُنْ قَاتِلَ الآمالِ أَوْ كُنْ قَتِيلَها تَسَاوَى الرَّدَى يا صَاحِبِي وَبَدَائِلُهْ
أنا عَـالِمٌ بالحُزْنِ مُنْذُ طُفُولَتي رَفِيقِي فَما أُخْطِيهِ حِينَ أُقَابِلُهْ
وإنَّ لَـهُ كَـفَّـا إذا مـا أرَاحَـهـا عَلَى جَبَلٍ ما قامَ بالكَفِّ كَاهِلُهْ
يُقَلِّبُني رَأْسَـاً عَـلَى عَقِبٍ بها كَما أَمْسَكَتْ سَاقَ الوَلِيدِ قَوَابِلُه
وَيَحْمِلُني كَالنَّسْرِ يَحْمِلُ صَيْدَهُ وَيَعْلُو بِهِ فَوْقَ السَّحَابِ يُطَاوِلُهْ

فَـإنْ فَرَّ مِنْ مخلابِهِ طاحَ هالكاً وإنْ ظَـلَّ في مخلابِهِ فَهْوَ آكِلُهْ

عزائي من الظُّلاَّمِ إنْ مِتُّ قَبْلَهُم عُمُومُ المنايا ما لَها من تُجامِلُهْ

إذا أَقْـصَـدَ المـوتُ القتيلَ فإنَّهُ كذَلِكَ ما يَنْجُو مِنَ الموتِ قَاتِلُهْ

فَنَحْنُ ذُنُوبُ الموتِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ وَهُمْ حَسَنَاتُ الموتِ حِينَ تُسَائِلُهْ

يَقُومُ بها يَـوْمَ الحسابِ مُدَافِعاً يَـــرُدُّ بهـا ذَمَّــامَــهُ ويُجَــادِلُــهْ

ولكنَّ قَتْلَى في بـلادي كَرِيمةً سَتُبْقِيهِ مَفْقُودَ الجَـوَابِ يُحَاوِلُه

تَرَى الطِّفْلَ مِنْ تَحْتِ الجِدَارِ مُنَادِياً أبي لا تَخَفْ والموتُ يَهْطُلُ وَابِلُه

وَوَالِــــدُهُ رُعْـبـاً يُـشِـيرُ بِكَفِّهِ وَتَعْجِزُ عَنْ رَدِّ الرَّصَاصِ أَنَامِلُهْ

أَرَى ابْــنَ جَمَــالٍ لم يُفِدْهُ جَمَالُه ُ وَمُنْذُ مَتَي تَحْمِي القَتِيلَ شَمَائِلُهْ

عَلَى نَـشْرَةِ الأَخْبَارِ في كُلِّ لَيْلَةٍ نَرَى مَوْتَنَا تَعْلُو وَتَهْوِي مَعَاوِلُهْ

أرى الموتَ لا يَرْضَى سِوانا فَرِيسَةً كَـأَنَّـا لَعَمْرِي أَهْـلُـهُ وقبائلُهْ

لَنَا يَنْسِجُ الأكفانَ في كُلِّ لَيْلَةٍ لخمسينَ عاماً ما تَكِلُّ مَغَازِلُهْ

وَقَتْلَى عَلَى شَطِّ العِراقِ كَأَنَّهُم نُقُوشُ بِسَاطٍ دَقَّقَ الرَّسْمَ غَازِلُهْ

يُصَلَّى عَلَيْهِ ثُـمَّ يُوطَأُ بَعْدَها وَيَحْــرِفُ عَنْهُ عَيْنَهُ مُتَنَاوِلُهْ

إذا مَا أَضَعْنا شَامَها وَعِرَاقَها فَتِلْكَ مِنَ البَيْتِ الحرامِ مَدَاخِلُهْ

وما مَيَلانُ الدَّهْرِ مَيْلُ قَوَامِهِ وَلَكِنْ يَمِيلُ الدَّهْرُ لو قَامَ مَائِلُهْ

أرى الدَّهْرَ لا يَرْضَى بِنَا حُلَفَاءَهُ وَلَسْنَا مُطِيقِيهِ عَـدُوًّا نُصَاوِلُهْ

فَهَلْ ثَمَّ مِنْ جِيلٍ سَيُقْبِلُ أَوْ مَضى يُـبَـادِلُـنَـا أَعْــمَـارَنـا فَـنُـبَـادِلُـهْ

قَبِّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماءْ

قَبِّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماءْ
قد حَمَلْنا منكِ مالا يُحتَمَلْ
إن مِن أثقل ما يحمله المرء الهواءْ
حين يحوي كلَّ ما تحوينَهُ
أنتِ لوحٌ حجريٌ كُتِبَتْ فيهِ وصايا الميِّتينْ
كاد يُمحى ما عليه من جُمَلْ
مِن توالي البرقِ والرعدِ على مَرِّ السنينْ
لم تدعْ إلا سطوراً معجماتٍ كخطوطٍ في جبينْ
أنتِ لوحٌ حجريٌّ من بهاء
أنتِ لوحٌ حجريٌّ من حنينْ
يُخضع الأعناقَ ما بين كتوف الحاملينْ.

كلنا يحملُهُ
وهو لا يحملنا إلا قليلا

كلنا يحملهُ

صفَّيْنِ تحت اللوحِ نمشي

نمنع الميزانَ منهُ أن يميلا

كلنا يحملهُ

صفَّيْنِ تحت اللوح نمشي

نَرْفَعُ الآنَ القتيلا

مثل قنديلٍ وددنا في السما تعليقَهُ، بدراً وأحلى

نظر الناس إليهِ

فَدَنا ثم تدلى

صار نقشاً في أفاريز الجوامعْ

بالذي سَطَّرَهُ الأُمِّيُّ حين الله أَمْلى

نرفع الجثمانَ أعلى

عَلَّهُ يدخل في أزرقِها

ثم يغدو خلطة الحنّاء في مفرقِها

حَنَّةَ الريح إلى أوطانها

وحياءَ الشمس من مَشرقِها

عبثاً!

ويظل الجسم جسماً فوق أكتاف المحبين ثقيلا

لن يكون القبر إلا حفرةً، طيناً وماءْ
نضع الميِّتَ والأكفانَ والأعلامَ فيها
ثم نمضي
قد تركْنا ثَمَّ في القبر السماءْ.

ثم لا نيئس أن تقبل منا ولداً ما في غدٍ أوبعد غدْ
كلَّ يوم نرفع النعش إلى الأعلى
وتمتد الأيادي لمداها
فتُرَدّ
ويشبّ الناس شبّاً فوق أطراف الأصابعْ
علَّها تبصرهُ
علها إن نَسِيَتْ تذكُرُهُ
عبثاً تُنْكِرُهُ
والعلامات عليه كلها
أبيضه أسوده أحمره أخضرهُ
والحطة الرقطاء حول الوجه لا تسترُهُ
كيف لا تعرفُهُ ، ماذا دهاها

اسمعي يا هذه الزرقاء يا بيتَ القضاءْ
هاكِ خيرناكِ هاكْ
ارفعيهِ الآنَ عن أكتافنا

ثم ارفعينا لعُلاكْ

أو فإنّا

نضع الأكفانَ في القبر ونمضي

قد تركناكِ هناكْ

وتصيحين بنا أن أدرِكوني

أخرِجوني

نظرةٌ ثم التفاتٌ

ثم لا ننظر أخرى للوراءْ

قبِّلي ما بين عينيْنا اعتذاراً يا سماءْ.

يا سماء

ما البطولة؟

حفرة تحت علامة؟

لا نريد المجدَ خلْف الموت حتى لا ولا المجدَ أمامَهْ

نحن لسنا أولياءْ

ما كراماتٍ أردنا بل كَرامة

ها سبيل الله ندريه

فهل ثَمَّ سبيلٌ للكهولة؟

لم نكن ندعو لدِينٍ أو إمامَة

أوكتابٍ يزعج الكهّان يوم السبتِ

لم نطرد من الهيكل تجّارَ الفضيلةْ
نحن لسنا مُسَحاءْ
نحن كنا ليلةَ الصَّلْبِ ندقُّ الكفَّ فوق الكفِّ
ما زِدْنا على ذلك شَيّا
نحن من صاح عليه الديك أَلفاً
لم نقل للرّوم حَرْفاً
وبكينا في مَسيحِ الله إلْفاً
لا نَبِيّا
غير أنّا في بطون الأُسْدِ بِتْنا
لم نحد عن دينهِ حين امتُحِنّا
وعرفنا دقَّةَ المسمارِ في الكفَّيْنِ مثلَهْ
ثم لا نطلب أن يأتي إلينا مَلَكٌ
يخرجنا من ظلمة القبر بهالات الضياء
بين نجمٍ وغمامةْ
قد عرفنا قبل هذا
أن فُرِزنا
نحن للصَّلْبِ وأنتم للقيامةْ.
لم نُؤَلِّهْ
لم يُسَجَّلْ في الأناجيل اسمُ أبْلَهْ
ماتَ مِنّا
حاملاً في صدرهِ أيقونةً

وجهَ ابن نَجّارٍ وديعٍ صانها تحت الرداءْ
وهو لا يطلب أن يُذكَرَ أصلاً
مات فالأمر سواءْ.
قَبِّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماءْ.

يا سماءْ
أبلغي في ليلةِ الإسراءِ مَن بالمسجدِ الأقصى يُصَلّي
من نبيٍّ أو إمامْ
اسمعوا يا من عليهم صلواتُ الله سربٌ من حَمامْ
وأذانٌ في الأعالي يتردَّدْ
بينكم مَن كلَّمَ الله جهاراً
والذي لم يَصْلَ ناراً
والذي عن أمرهِ عَمَّرتِ الجِنّانُ داراً
والذي يحيا مدى الدهر سِراراً
حاضراً أو غائباً يبدو ويستخفي مراراً
والذي قد أتْعَبَ الناس انتظاراً
ليلةَ المعراج في المحراب من خلف محمدْ
اسمعوا مِنّا الكلامْ:
اعذرونا لو دَخَلْنا في صفوفِ الخاشعينْ
بالتوابيت وبالأعلامِ فَوْضى!
نحن لسنا أولياءَ أوعباداً صالحينْ

غير أنّا لم نجئكم مُدَّعينْ

كي ننال المجد في شركتكم هذا المقام

نحن جئنا مجبَرين

اعذرونا قد بلينا

بتمادي مشركينا

في الغباءْ

فاضطراراً يصبح المرء نبيّاً

لعنة الله عليهم

جعلونا أنبياءْ

قَبِّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماء.

تخميس على قدر أهل العزم

مقدمة عن التخميس عامة:

الشعر المُخَمَّس شكل من الأشكال المتأخرة للشعر العمودي التي ظهرت في القرن الثالث والرابع الهجريين، فيه يتكون البيت من خمسة أشطر لا شطرين، للأشطر الأربعة الأولى قافية واحدة تتغير في كل بيت، وقافية الشطر الخامس هي قافية القصيدة فلا تتغير. وقد يُخمِّس شاعر لاحق قصيدة عادية لشاعر سابق بأن يضيف لكل بيت من أبياتها المكونة من شطرين اثنين ثلاثة أشطرأخرى، قافية كل منها تتفق مع نهاية الشطر الأول من البيت الأصلي. فتصبح وحدة البناء في القصيدة مكونة من خمسة أشطر، الثلاثة الأولى منها للشاعر اللاحق والاثنان الأخيران منها للشاعر السابق، وتكون القصيدة القديمة مقتبسة بكاملها ومضمنة بنصها في القصيدة الجديدة، وكأنه تركيب قصيدة على قصيدة.

خذ مثلاً البيت القائل:

لو أنهم فتَّشوا قلبي لما وَجَدُوا فيهِ سوى حُبِّهم والله

فإنك إن أردت تخميسه قلت:

قُلْ للأحِبَّةِ في بَغْدَادَ لا بَعُدُوا فالدَّهْرُ طاغِيَةٌ في رَأْيِـهِ فَنَدُ
أَمَّا أنا فأنا باقٍ كما عَهِدُوا «لو أنهم فتَّشُوا قلبي لما وَجَدُوا

فيهِ سوى حبِّهم والله والله»

وقد كانت العادة من قبل، أن يكون التخميس كالمعارضة، أي تأكيداً لمعنى القصيدة الأصلية القديمة، وألا يخرج بها عن سياقها. و أنا حاولت، على غير تلك العادة ، في تخميسي لقصيدة أبي الطَّيِّب المتنبي «على قدر أهل العزم»، أن أُغَيِّرَ معناها تماماً وأقْلِبَهُ عَمْداً رأساً على عَقِبْ. و كان أبو الطَّيِّب كتب القصيدة الأصلية حينما:

«سار سيف الدولة نحو (قلعة) الحَدَثِ لبنائها، وقد كان أهلها أسلموها بالأمان للدُّمُسْتُق سنة سبع وثلاثين (٣٣٧ للهجرة، ٩٤٨-٩٤٩ للميلاد)، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين (٣٤٣ للهجرة، ١٩ أيلول سبتمبر ٩٥٤ للميلاد). وبدأ في يومه فخط الأساس وحفر أوله بيده ابتغاء ما عند الله جل ذكره. فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفَقَّاس دُمُسْتُقُ[١] النصرانية في نحو خمسين ألفَ فارسٍ وراجلٍ من جموع الروم والأرمن والروس والبَلْغَرِ والصَّقْلَبِ والخَزَرِيَّة، ووقعت المصافَّةُ يومَ الإثنين انسلاخَ جمادى الآخرة من أول النهار إلى وقت العصر، وإن سيف الدولة حمل عليه (على

(١) جون تزيمسكس والذي عرفه العرب بالدمستق، كان قائد الجيوش البيزنطية ثم إمبراطور بيزنطة من ٩٦٩ إلى ٩٧٦ ميلادية.

الدمستق) بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه وأصناف رجاله فقصد موكبه وهزمه، وأظفره الله تعالى به وقتل نحو ثلاثة آلاف من مُقَاتِلَته، وأسر خَلْقَاً من إسحاريته وأراخنته (قادته ومعاونيه) فقتل أكثرهم واستبقى البعض، وأَسَرَ تودس الأعور... وهو صهر الدمستق على ابنته، وأَسَرَ ابن ابنة الدمستق وأقام على الحدث إلى أن بناها ووضع بيده آخر شُرَّافَةٍ منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال أبو الطيب: على قدر أهل العزم...القصيدة» (ديوان أبي الطيب بتحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٣ هجرية-١٩٤٤ ميلادية، صفحة ٣٧٤)

وأنا أكتب تخميسي للقصيدة الجليلة السابقة في هذا الزمان غير الجليل، متعمداً قلب معانيها لانقلاب زمانها، وأن أغير ما تَعُودُ عليه ضمائر أبي الطيب، فبدلاً من أن يكون موضوع قصيدة أبي الطيب موقعةً بين سيف الدولة والروم عند قلعة الحدث، يكون موضوعها بعد التخميس وصفاً لذاتنا جمعاً وأفراداً في هذا الزمان، فأنا بصراحة أسرق أبا الطيب، لكنه جَدٌّ سمح وذو كف ندية، ونحن ناسه شئنا أم أبينا، بل شاء هو أم أبى، والله المستعان:

تخميس «على قدر أهل العزم»

أَقُــولُ لِــدَارٍ دَهْـرُهـا لا يُسالمُ   وموتٍ بأسواقِ النفوسِ يساومُ
وأوجــه قتلى زَيَّنَتْها المباسمُ   على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ

وتـأتي على قدر الكرام المكارمُ

وَلَتْنا لَيالٍ لَيْسَ يُحْفَظُ جارُها   ونـارُ أسىً نارُ الجحيمِ شَرَارُهـا
يُفَرِّقُ ما بينَ الرجالِ اختبارُها   وَتَعْظُمُ في عين الصغير صغارُها

وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وطافَ أبونا الخِـضْرُ يُنْذِرُ قومَهُ   فما كـان أقسى قلبَهم وأصمَّهُ
وقـالـوا له هُــزءاً يـريـدون ذمَّـهُ   يُكَلِّفُ سيفُ الدولةِ الجيشَ همَّهُ

وتعجز عن ذاك الجيوش الخضارمُ

وفي الصدر خِضْرٌ لا يشكُّ بحدسِهِ   يَقُولُ، إذا قالَ الزمانُ، بعكسِهِ
على غـدِهِ فرضُ استشارةِ أمسِهِ   وَيَطْلُبُ عند الناسِ ما عندَ نَفْسِهِ

وذلــك ما لا تدَّعيه الضراغمُ

وغـزلانِ جَوٍّ قد شَغَفْنَ بَراحَهُ رَأَى حَرَماً صيادُها فاستباحَهُ
تَخَـيَّرَ من سِرْبِ الصِّغارِ مِلاحَهُ يفدِّي أتمُّ الطيرِ عمراً سلاحَهُ

نسور الملا أحداثها والقشاعمُ(١)

فقلت لها للموت بالموتِ غالبي فبعض المنايا عصمة في النوائبِ
به اعتصَمَت عُلْيَا لُؤَيِّ بنِ غالِبِ ومـا ضَرَّهـاْ خَلْقٌ بغيرِ مخالِبِ

وقد خُلِقَت أسيافُه والقوائمُ(٢)

به عَصَمت نفسُ الحسين حُسَيْنَها قليلةُ عَـوْنٍ أصبَحَ الموت عَوْنَها
ويا قلعةً حاولتُ بالرُّوحِ صَوْنَها هَلِ الحَدَثُ الحمراءُ تَعْرِفُ لَوْنَها

وَتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْنِ الغمائمُ(٣)

وَقَلْعَتُنا أُمُّ الـزمـانِ بِطُولِهِ تَبَنَّتْهُ طِـفْـلاً عـاثـراً بحجوله

---

(١) القشـاعم: هـي النسـور الكبيرة: يقـول أبو الطيب فـي وصف سـيف الدولة، إن النسـور وهي أتم الطير عمراً تُفَدِّي سـلاح سـيف الدولة لأنه يكثر من قتل أعدائه فتكثر الجيف التي تأكلها النسـور، والضمير في التخميس عائدٌ على صائد الغزلان لا على سيف الدولة.

(٢) عُليـا لـؤي بـن غالـب: آل النبي صلى الله عليه وسـلم نسـبة إلى جـده لؤي بن غالـب، وفي القصيـدة الأصلية الضمير فـي «وما ضرها خلق بغير مخالب» عائد علـى صغار النسـور، والضميـر في قولـه: «أسـيافُه والقوائمُ» عائد على سـيف الدولـة، يقول أبـو الطيب إن صغار النسـور لا يضرها أنها خلقـت بغير مخالب لأن أسـياف سيف الدولة تأتيها بما يكفيها من القتلى فتطعمها، أمافي التخميس فالضميـر في «وما ضرها خلق بغير مخالب» عائـد على آل غالـب، والضمير في «أسـيافه والقوائم» عائد على الموت، أي أن استشـهاد القـوم يضر عدوهـم أكثر من حياتهم فكأن موتهم يقاتل عنهم بالسيف.

(٣) الحدث الحمراء: قلعة بشمال الشام.

تـأبـط شراً إذ يهــادي بـغُـولِـهِ   سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبَلَ نُزُولِهِ

فلمَّا دَنَا مِنُها سَقَتْها الجَمَاجِمُ(١)

وَقَلْعَتُنا في مُلْتَقَى اليَأْسِ والمُنَى   وقلعتُنا أَنْــتُـمْ وقَلْعَتُنا أَنَــا

بناها ابنُ عبدِ الله حِصْناً وَمَوْطِنا   بَنَاهَا فَأَعْلَى والقَنَا يَقْرَعُ القَنَا

ومــوجُ المنايا حَـوْلَهـا مُتَلاطمُ

غدت مهرةً تَصحُو البلادُ إذا صَحَتْ   إذا كَتَبَـتْ فَهْوَ الكِتَابُ وإنْ مَحَتْ

وإنْ خاطَبَتْ هذا الزمانَ تَوَقَّحَتْ   وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبَحَتْ

ومــن جثث القتلى عليها تمائمُ

فأين رســولَ الله ما قد وعدتها   وعــوداً كرايات الفتوح مددتها

وكنت إذا ما الناس ضاعت عدتها   طـريــدةَ دهــرٍ ساقها فـرددتهـا

على الدِّينِ بالخَطِّيِّ والدهرُ راغمُ

وكم أملٍ مثلَ السيوف شحذتَهُ   وكــم أمــلٍ مثلَ الــزؤان نبذتَهُ

(١) الحجـول: خلاخيـل تكـون فـي أرجـل الأطفـال. عـاد بغولـه: يحكـى أن أحد الصعاليـك قتل الغول وحملها تحت إبطه وأهداها إلى أمه، فقالت عنه «والله لقد تأبـط شـرًا». يقول المتنبي، سلوا قلعة الحدث، هل تعـرف لونها الأصلي بعد أن كساها سيف الدولة بدماء الروم، وهل تعرف من منهما الغيم الذي يسقيها، فقد كانت الغمام الغر تسـقي القلعة قبل أن ينزل عليها سيف الدولة، فلما نزل عليها سـقاها هـو بالدماء من جماجم العـدو. والمعنى في التخميس، أن القلعة قديمة كأنهـا أم الدهر التي ربته، فلما كبر تغـرب عنها، ثم جاءها بالغول هدية، فحين دنا منها ليهديها هديته دهمتها المصائب وسقتها الجماجم، فالضمير في "نزوله" عائد على الدهر، لا على سيف الدولة.

وكـــم أمـــلٍ حصنته وأعــذتَــهُ   تُفِيتُ الليالِيْ كل شيء أخذتَهُ
وهـــنَّ لما يـأخـذْنَ مِنْكَ غــوارمُ

فَيا مُرْبِكَ الأيَّــامِ كهلاً ويافعا   ويا غازلاً ضحكَ الوليد شرائعا
محمدُ أدركـنــا إذا كنت سامعا   إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا
مضى قبل أن تُلْقَى عليه الجوازمُ

أَتَذْكُرُ داراً أنتَ أعطيتَها اْسْمَها   وشَيَّدتها في مَنْبِتِ النخلِ والمها
أبــاهــا رســولَ الله كنتَ وأُمَّــهــا   فكيف تُرَجِّي الرومُ والروسُ هدمَها
وذا الطعنُ آســاسٌ لها ودعائمُ

ليالِيكَ أيــدٍ والليالي جرائمُ   وأُمَّتُكَ الطفلُ الذي أنتَ رائمُ
وكم صُنْتَهَا والعادياتُ عوارمُ   وقد حاكموها والمنايا حواكمُ
فما ماتَ مظلومٌ ولا عاشَ ظالمُ

محمَّدُ قد عاد العدى فاسْمَعَنَّهم   أَجَنُّوا ظلاماً والظلامُ أَجَنَّهم
غُـــزاةً بُـغـاةً أخلف اللهُ ظنَّهم   أَتَـــوْكَ يَجُـــرُّونَ الحـديـدَ كأَنَّهم
سَرَوْا بجيادٍ مـا لَهُـــنَّ قَـوائـمُ

ترى الشمسَ خوفَ الهَتْكِ منهم تَلَثَّمُ   وفي جبهةِ الصحراءِ للذلِّ مَيْسَمُ
حـديـدٌ فـلا عــينٌ هـنـاكَ ولا فَـمُ   إذا بَرَقُوا لم تُعْرَفِ البِيضُ مِنْهُمُ
ثيابُهُمُو مـن مثلِها والعمائمُ

يريدون ألاَّ يَعْشَقَ الإلـفَ إلفُهُ   ولو قَتلوا نصف الفَتَى، مَاتَ نِصْفُهُ
فأصبح هَمِّـــي يـا محـمَّـدُ وصفُهُ   خميساً بشرقِ الأرضِ والغربِ زحفُهُ
وفي أُذُنِ الجـــوزاءِ منه زمـازمُ

وَهَتْ صحبةٌ ما بين روحٍ ورِمَّةٍ   تكيدُ لها في السرِّ كل مُلِمَّةٍ
وفي الصدر سوقٌ من مصائبَ جَمَّةٍ   تَجَمَّعَ فيهِ كل لَسْنٍ وأُمَّةٍ

فما يُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلا التَّراجِمُ

أَتَوا في زمانٍ ما يَقِرُّ قرارُهُ   يَشِي بنبيِّ الله للقوم غارُهُ
وأشجع أفعالِ الشجاعِ فِرَارُهُ   فللَّهِ وقتٌ ذوَّبَ الغشَّ نارُهُ

فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضبارمُ[1]

تَقَطَّعَ صوت الشيخِ إن هُوَ أذَّنا   تَقَطَّعَ سيرُ النهرِ حتى تأسَّنا
تَقَطَّعَ وصلُ الإلفِ للإلفِ بيننا   تَقَطَّعَ ما لا يَقْطَعُ البِيضَ والقَنا

وفرَّ من الفرسانِ من لا يُصارِمُ

نسيجُ زمانٍ من سقوطِ المناصفِ   سوى من شهيدٍ، مثل آي المصاحفِ
كما وَقَفَ البيتُ العتيقُ لِطائفِ   وقفتَ وما في الموتِ شَكٌّ لواقفِ

كأنَّك في جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نائمُ[2]

فللَّهِ شعبٌ يَجْعَلُ القَتْلَ شِيمةً   فإنْ لم تَنَلْهُ النفسُ عاشت ذَمِيمَةً
أَشَعبيْ لقد أعطيتَ للدَّهرِ قِيمةً   تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً

ووجهُك وَضَّاحٌ وثغرُك باسِمُ

كأنَّكَ تحتَ النخلةِ الأمُّ وابنُها   لدى رؤية الأحبابِ يدمعُ جَفْنُها

---

(١) الصارم: السيف، والضبارم: الأسد

(٢) المناصف: جمع منصف والمنصف والنصيف: المنشفة التي تستر بها العورة عند الخروج من الحمام

ومن منظرِ الأعداءِ يضحكُ سِنُّها	تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنُّهى

إلى قول قـوم أنـتَ بالغيبِ عالمُ

كـأنَّـكَ طـيرُ الله تَحْـمِـلُ أمَّـةً	لكي يصبحوا بعد الهـوانِ أَئِمَّةً

ويا دهـرُ ما راعيتَ في الله ذِمَّـةً	ضَمَمْتَ جناحَيهِم على القلبِ ضَمَّةً

تمـوت الخـوافي تحتها والـقـوادمُ

كأن الردى لا النصرَ ما أنت طالبُ	فلا نصرَ إلا وهو بالموتِ طائبُ

فإن ضربوكَ اهْزَأْ بمن هُوَ ضاربُ	بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبُ

وصارَ إلى اللَّبَّاتِ والنصرُ قادمُ(١)

فأكرم بنفسٍ يا شهيدُ أرحتَها	بك الأرضُ صارت مكةً وفتحتَها

فلما دنت منها الأعادي استبحتَها	حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حتى طرحتَها

وحتى كأنَّ السيفَ للرمحِ شاتمُ

فصلَّى عليكَ اللهُ ألفاً وسَلَّما	وأنْطَقَ دهراً كانَ من قبلُ أبكما

ملوكٌ يـريـدونَ الحفائرَ سُلَّما	ومن طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنما

مفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصوارمُ

ودهـرُك عبدٌ نـال فوقك إمْـرَةً	فخلَّف حتى في السماواتِ حُمْرَةً

---

(١) اللبات: جمع لبة وهي أعلى الصدر، يقول أبو الطيب إن نصر سيف الدولة كان سريعاً فلم تستغرق المعركة إلا ما بين لمس السيوف هامات الأعادي ووصولها إلى صدورهم، والمعنى مقلوب في التخميس، فالخطاب للشعب، والهامات واللبات له لا للعدو، فالنصر يقدم حين تصل سيوف العدو إلى صدورنا، أي في حال الاستشهاد كما هو ظاهر من الشطر الثاني «فلا نصر إلا وهو بالموت طائبُ»

ويا عبدُ إن صادفت حُرّاً وحُرَّة   نَثَرْتَهُمُو فَـوْقَ الأُحَـيْـدِبِ نثْرةً
كما نُثِرَت فوق العروسِ الدَّراهمُ(١)

أمـيرَ جيوشٍ صرتَ فينا مُؤمَّرا   بك اشتَدَّتِ الأصفادُ وانحلَّت العُرى
وأطعمتَنا للجارحاتِ كما أرَى   تَدُوسُ بِكَ الخيلُ الوُكورَ على الذُّرى
وقد كَثُرَتْ حَولَ الوُكُورِ المطاعمُ

ويا عبْدُ صِرنا سَاقَةً إنْ أَمَرْتَها   أطاعت، فكانت نعمةً ما شَكَرْتَها
ضباعَ الفلا فينا أراكَ اسْتَشَرْتَها   تَظُنُّ فِـراخُ الفُتْخِ أَنَّـك زُرْتَهـا
بأُمَّاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصلادِمُ(٢)

تُحَـاطُ بأبكارِ الـرزايـا وعُونِها   جَوَارِيك ما تَسْطِيعُ سيراً بدُونِها
طوابيرُ وحشٍ واللظى في عُيونِها   فـإن زَلِـقَـتْ مَشْيَتَها بِبُطُونِها
كما تَتَمَشَّى في الصَّعِيدِ الأراقمُ(٣)

فيا دهـرُ مهما كنتَ نـاراً تَـضَرَّمُ   فنحنُ كإبراهيمَ في النارِ نَسْلَمُ
عَجِبْتُ لعبدِ الدَّهرِ ما يَتَعلَّمُ   أفي كُلِّ يومٍ ذا الدُّمُستُقُ مُقدِمُ
قَفَاهُ على الإقدامِ للوجهِ لائمُ(٤)

---

(١) الأحيدب: التلة التي عليها قلعة الحدث ودارت عندها المعركة.

(٢) فـراخ الفتخ: الفتخ جمع فتخاء وهي العقاب، وفراخ الفتخ صغار العقبان، وأُمَّاتها: أمهاتهـا، والعتـاق: الخيـل الأصيلة، والصـلادم: صلبـة الحوافر. يقـول أبو الطيب مخاطِباً سـيف الدولة: تظن صغـار العقبان أن خيلـك أمهاتها، لكثرة مـا تخلفه لها خيلك من الطعام، أي من القتلى، وفي التخميس الخطاب للدهر لا لسيف الدولة.

(٣) الأراقم: الأفاعي.

(٤) الدمستق: قائد الجيش البيزنطي، وفي التخميـس هو الدهر.

وَأَهـــلِيَ نخلُ اللــهِ مدَّ عُروقَهُ وَأَعْجَزَ مِعْراجَ السَّما أن يَفُوقَهُ
وليثٌ فأنّى للدَّبَى أن تسوقَهُ أَيُنْكِرُ ريحَ الليثِ حتى يذوقَهُ

وقد عَرَفَتْ ريحَ اللُّيُوثِ البهائمُ(١)

وإن أُمِّـرَ العبدُ استطالَ بفُجْرِه وكان رسولُ الله يُكوَى بجمرِهِ
ولكنَّه ما كَـلَّ عن حرب دهرِه وإن فَجَعَتْهُ بابنه وابـنِ صِهرِهِ

وبالصِّهرِ حَمْلاتُ الأميرِ الغواشمُ(٢)

تَذَكَّرْتُ خيرَ الناسِ ديناً ومذهبا عَلَيًّا وعَـــمَّاراً وزَيْـــداً ومُصْعَبا
ولِي حاكمٌ بـينَ الأسـودِ تَأَرْنَبا مَضَى يَشْكُرُ الأصحابَ في فوتِهِ الظُّبا

لِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُم والمعاصمُ(٣)

أولئكَ محرابُ الورى فانتحيهِمُ مَضَوا بِخِطامِ الدهرِ فَهْوَ يِلِيهِمُ
ويـعـلَـمُ قلبي أنــه لا يَقِيهِمُ ويَفْهَمُ صـوتَ المشرفيَّةِ فيهِمُ

على أنَّ أصواتَ السيوفِ أعاجمُ

ويا دهـرُ تُبدي حالة بعد حالةٍ ليشعرَ قلبي أنــه دون آلــةِ

---

(١) الدَّبَى: النمل.

(٢) ابنه وصهره وابن صهره: كان سيف الدولة، وهو المشار إليه هنا بالأمير، قد أسر ابن الدمستق وصهره وابن صهره ، أما في التخميس فالكلام عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم والأمير هو الدهر، وقد فجع الدهر رسول الله بابنه القاسم رحمه الله وبصهره علي كرم الله وجهه وبابن صهره الحسين بن علي الشهيد رحمه الله.

(٣) علي وعمار وزيد ومصعب: علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وزيد بن حارثة، ومصعب بن عمير، وكلهم شهداء كما تعلم.

ويُصبحَ بـدراً مُفرداً دونَ هالةِ   يُـسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهَالة

ولكنَّ مغنوماً نَجَا منكَ غانمُ

وقلبِيْ لنورِ الصبحَ نافخُ كيرِه   غياثٌ على صخرٍ كـلامُ مشيرِهِ
أَقَلْبِ اسْتَرِدَّ المُلْكَ من مُسْتَعِيرِهِ   فلستَ مَلِيكاً هـازمـاً لنظيرِهِ

ولكنَّكَ التَوْحِيدُ للشِّركِ هازمُ

أَقَـلْـبِ تَسَلَّحْ فالحياةُ وَقِيعَةٌ   وَرَبُّــكَ شـارٍ والنفوسُ مَبِيعَةٌ
وفيكَ ابنُ حَمْدانٍ وفي الناسِ شِيعَةٌ   تَــشَرَّفُ عـدنـانٌ بِـهِ لا رَبِيعَةٌ

وتَفْتَخِرُ الدُّنيا بِهِ لا العَوَاصِمُ[1]

أقلبِ اتَّبع شعبيْ فَحَظُّك حَظُّهُ   وللرِّيح إنـذارُ الزَّمانِ ووعظُهُ
وَشَعبيَ شعرٌ غايةُ القلبِ حِفْظُهُ   لكَ الحمدُ في الدرِّ الذي لِيَ لفظُهُ

فـإنَّـكَ مُـعْـطِـيـهِ وإنِّيَ ناظمُ

رَسُولُكَ فانصرني إلى أن أُبَلِّغَا   وآخُـذَ ثأري من زماني بما طَغَى
فؤادِيَ لم يطلبْ سواكَ ولا ابْتَغَى   وإنِّيْ لَتَعْدُو بي عَطَاياكَ في الوَغَى

فلا أنـا مذمومٌ ولا أنـتَ نـادمُ

سـلامٌ على من كـانَ بَـرًّا بأهلِهِ   وجـازَى على عُـدوانِ عادٍ بمثلِهِ
وبـارَكَ مَـاءُ الغيمِ من مُستَهِلِّهِ   عـلَى كـلِّ طـيَّـارٍ إليها بِرِجْلِهِ

إذا وَقَعَتْ في مَسْمَعَيْهِ الغَمَاغِمُ[2]

سَـلامٌ على من كـان يَتَّبعُ الهُـدَى   وسَمَّى إذا ما مـات أحمـدُ، أحمدا

---

(١) عدنان: أبو مَعَدّ وجد العرب المستعربة جميعاً، وربيعة بطن من عدنان، العواصم: مدينة بشمال الشام من أعمال سيف الدولة.

(٢) الغماغم: ضجة الحرب وصوتها.

ومن لَوْ هَوَىْ والسَّيفُ في الكفِّ ردَّدَا ألا أيُّها السَّيفُ الذي لستَ مُغْمَدا

ولا فيكَ مرتابٌ ولا منكَ عاصمُ

أرى فيكَ راويْ سيرةٍ شامَ مِشْعَلا سننجو لَوَ أنْ الشيخَ يَحْفَظُ ما تلا

فيا شَيْخَنا يا شاهداً كلَّ كَرْبَلا هنيئاً لضربِ الهامِ والمجدِ والعُلا

وراجيكَ والإســـلام أَنَّـكَ سالمُ

سِجِلُّكَ هذا قَدْ أضاء وأحرقا بِهِ نَغْلِبُ الغِيلانَ في ساعةِ اللِّقا

ويا ألماً إن كنت أشفى من الرُّقَى فلم لا يقي الرحمن حَدَّيْك ما وَقَى

وتفليقُهُ هـامَ العِدَى بِـكَ دائمُ

غَزَلْ

يَطِيرُ حَمَامُ بَيْتِ اللهِ نَحْوِي   لأَرْوِيَ عَنْهُ أَشْعَاراً وَيَرْوِي
يُرِيدُ بِمَا بِهِ تَخْفِيفَ مَا بِي   فَيُرْجِعُنِي كِلا الشَّجْوَيْنِ شَجْوِي
وَظَنِّي مَا يَحُجُّ الطَّيْرُ إلا   لِجَمْعِ الشِّعْرِ مِنْ حَضَرٍ وَبَدْوِ
ولولا الشِّعْرُ مِنْ عَرَبٍ أَحَبُّوا   إِذَنْ خُلِقَ الحَمامُ بِدُونِ شَدْوِ
يَقُولُونَ انْسَ أَنْ تَنْسَى هَوَاها   وَهَلْ يَنْسَى ابْنُ آدَمَ حِينَ يَنْوِي
وَقِيلَ تَقَوَّ يا هَذَا بِصَبْرٍ   وَإِنَّ الصَّبْرَ يُضْعِفُ لا يُقَوِّي
وَقِيلَ تَرَوَّ في أَمْرٍ تَنَلْهُ   وَمَنْ لي ثَمَّ مَنْ لي بِالتَّرَوِّي
هَبُوا حُبِّي لَكُمْ ذَنْباً فَإنِي   رَأَيْتُ القَتْلَ فيهِ مِنَ الغُلُوِّ
نَكُونُ وَلا نَكُونُ إذا اعْتَنَقْنَا   دُخَاناً لا يَكُفُّ عَنِ العُلُوِّ
هَوَاءً في هَوَاءٍ أو كَمَاءٍ   على مَاءٍ فَأَحْوِيها وَتَحْوِي
وَنَسْأَلُ عَنْ نَوَايانا فَتَبْدُو   عَلَى خَجَلٍ وَتَبْدَأُ في الدُّنُوِّ
تَكُونُ كَمُهْرَةٍ وُلِدَت حَدِيثاً   تَقُومُ عَلَى مَرَاحِلَ ثُمَّ تَهْوِي
كَأَنَّ لِتَوِّهَا لَيْلَى تَرَانِي   كَمَا أَنِّي أَرَى لَيْلَى لِتَوِّي

لِـكُـلِّ تَـعَـانُـقٍ كَـشْـفٌ وَفَـتْـحٌ وَكَـأْسٌ لا تُـرَاقُ لِـغَـيْـرِ كُفْوِ

وخمْـرٌ أَدْمَـنَـتْـنَـا فَـهْـيَ تَسْعَى لَنَا كَالبِنْتِ تُغوَى حِينَ تُغوِي

وَمَـنْ عَنْ جِسْمِهِ يَبْغِي سُمُوًّا فَـذَا لَمْ يَـدْرِ مَـا مَعْنَى السُّمُوِّ

هَـوَاهـا مُـعْـرِبٌ لُـغَـةَ اللَّيالي كَـكُـوفِيٍّ يُـعَـلِّـمُ أهـلَ مـروِ

يـشـكِّـلُـهـا كَـنَـحَّـاتٍ مُـدِلٍ يَشُوبُ جَـلالَ صَخْرَتِهِ بِلَهْوِ

وَصَخْرَتُهُ الزَّمَانُ غَدَت بِسَاطاً بِـكَـفَّـيـهِ فَـيَـنْـشُرُهـا وَيَـطْـوِي

هَـوَاهَـا كَعْبَةٌ والـكَـوْنُ وَفْـدٌ لَـهُ لَجَـبٌ وتَـلْـبِـيَـةٌ تُـدَوِّي

وفي بـالي حَمَـامٌ لا يُـبَـالي بِهِـمْ يَـأْوِي إِلَيْها حِـينَ يَـأْوِي

كَـأَنَّ اللهَ أقْـطَـعَـه سَـماءً فَـأَكْـرَمَ هَـذِه الـدُّنْـيـا بِـجَـوّ

يَطِيرُ ثُنَى ثُنَى مِثْلَ القَوَافي فَـأَنْـقُـلُ شِـعْـرَهُ حَـذْواً بِحذْوِ

وَيَكْتُبُني وَيَـمْـحُـوني قَلِيلاً فَـدَيْـتُ يَـدَيْـهِ في خَـطٍّ وَمَحْـوِ

لِـذاكَ أَقُـولُ طَـارَ الطَّيْرُ نَحْوِي لأَرْوِيَ عَنْهُ أَشْعَارًا وَيَـرْوِي

رَجَـــزْ USA

يا غُرْبَتي يا غُرْبَةَ المغْتَرِبِ

عن دارِهِ أو غُرْبَةَ المقْتَرِبِ

من نَفْسِهِ التي تَظَلُّ تَخْتَبي

يُريغُها كَذَا بِدُونِ سَبَبِ

كَأَرْنَبِ يَعْدُو وَرَاءَ أَرْنَبِ

أَوْ رُبَّما يَعْدُو وَرَاءَ ثَعْلَبِ

كَمْ طَالِـبِ مِنْ جَهْلِهِ بِالمطْلَبِ

يَدْفَعُهُ مَطْلَبُهُ للعَطَبِ

حَدِيقَةٌ جَمَالُها كَالقُطُبِ

يُدِيرُني مِنْ حَوْلها تَعَجُّبي

كَأَنَّ مِقْلاعاً كَبيراً دَارَ بي

فَصِرْتُ مِثْلَ المبعَدِ المنْجَذِبِ

أَرْعَى تَنَاقُضَاتِ قَلْبِ قُلَّبِ

كَأَنَّه سِرْبُ قَطاً في رُعُبِ

كأنَّني عَنِ الرِّياضِ أَجْنَبي

هَلْ نَحْنُ أولادُ الصَّحَارِي يا أبي؟

ما كان بيتي بالخِبا المُطَنَّبِ

ولم أصِفْ عَيْنَ المها مِنْ كَثَبِ

بل صَحَرائي صَحَراءُ الكُتُبِ

كما رَوَاها الشُّعَرَاءُ وَالنَّبي

وَنَحْنُ أَهْلُ جَبَلٍ مُعْشَوْشِبِ

كَأَنَّهُ مِنْ دَهْرِهِ في طَرَبِ

أَخْضَرُهُ مُلْتَبِسٌ بِالذَّهَبي

زَيْتُونُهُ طِفْلٌ بِزِيِّ أَشْيَبِ

يَخُطُّ فَوْقَ فَمِهِ كَالشَّنَبِ

وَيَدَّعِي عُمْراً طَوِيلَ الحِقَبِ

لَهُ جَلالٌ وَهْوَ مِنْ بَعْدُ صَبي

فكيفَ خَوْفي مِنْ رِياضِ الغُرُب

وما تَوَاضُعِي وما تَحَسُّبي

وَمَا تَوجُّسِي وَمَا تَرَقُّبي

وما تَلَفُّتي كَفِعْلِ المُذْنِب؟

لستُ ضَئِيلاً لا ولا غَيْرَ أَبي

ولا فَقِيراً أَوْ هَزِيلَ النَّسَبِ

لَكِنَّها ذَاتُ الهَوَى المُنْقَلِبِ

حَدِيقَةٌ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبِ

حَدِيقَةٌ كَكَوْكَبٍ في كَوْكَبِ
امْرَأَةٌ قَدْ تُوِّجَتْ بِالشُّهُبِ
مُشِيرَةٌ بِمِشْعَلٍ مُلْتَهِبِ
تَرْكَبُ فَوْقَ وَحْشِهَا المُرَكَّبِ
مُرَكَّبٍ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ مَرْكَبِ
بِمِئَتَيْ رَأْسٍ لَهُ وَذَنَبِ
وَكُلُّ رأْسٍ لمليكٍ أَحْدَبِ
مُتَوَّجٍ بِتَاجِهِ مُعَصَّبِ
مِنَ الصَّفِيحِ اللَّيِّنِ المُذَهَّبِ
وَلِبْدَةٍ في عُنُقٍ وَمَنْكِبِ
لَكِنَّها مِنْ زَرَدٍ مُقَطَّبِ
يُمْسِكُ رَايَةً بِكُلِّ مِخْلَبِ
والبَحْرُ تَحْتَهُ كَثِيرُ الغَضَبِ
قَدْ صَرَّهُ في صُرَّةٍ مِنْ قِنَّبِ
فالوحشُ فَوْقَ كُرةٍ مِنْ عَجَبِ
يَلْعَبُ في غَيْرِ مَقَامِ اللّعِبِ
يَضْرِبُها بِمِخْلَبٍ مُدَبَّبِ
كَأَنَّهُ يَقُولُ للمَاءِ اهْرُبِ
لَكِنَّهُ خَافَ فَلَمْ يَنْسَكِبِ
امْرَأَةٌ مَرَّتْ كَنَصٍّ أَدَبي
مِنْ قَبْلِ خَلْقِها عَلَى مُصَوِّبِ

مَنْظُومَةٌ لم تُخْتَصَرْ أَوْ تُطْنَبِ

لا كَأْرْتِجَالٍ بِلِسَانٍ ذَرِبِ

امْرَأَةٌ تَحْكُمُ سَيْرَ السُّحُبِ

بِلَفْتَةٍ مِنْ جَفْنِها وَالهُدُبِ

مَتَى تَقُلْ للصَّخْرِ يَنْسَبْ يَنْسَبِ

أَوْ تَسْبِ حُرًّا مِنْ ذَوِيهِ يَنْسَبِي

أَوْمَتْ إليَّ عَيْنُها بالمَرْحَبِ

في يَدِها اليُمْنَى رَحِيقُ العِنَبِ

وَفي اليَدِ اليُسْرَى دِمَاءُ العَرَبِ

أيها الناس

أيهـا الـنـاسُ أنـتـمُ الأمـراءُ ... بِـكُـمُ الأرضُ والـسَّـماءُ سَـوَاءُ
يا نُجُوماً تَمْـشِي عَـلَى قَدَمَيْها ... كُلَّما أَظْـلَـمَ الـزَّمَـانُ أَضَـاءُوا
قد علا في كُـلِّ الأماكنِ صَوتي ... مَـا بِيَ المـالُ لا ولا الأَسْـمَاءُ
بُغْيَتي أَمْـرُكُـمْ يُـرَدُّ إِليْكُمْ ... فَـلَـكُـمْ فِـيـهِ بَـيْـعَـةٌ وَبَـرَاءُ
لا يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَـيْنَ هَوَاكُمْ ... عِـنْـدَ إِبْـرَامِ أَمْـرِكُـمْ وُكَـلاءُ
ثُـمَّ إِنِّي أَحْـكِـي حِـكَايَةَ قَـوْمٍ ... لُـغَـةُ الله خُـبْـزُهـم وَالمـاءُ
وَخُطَاهُمْ في الأَرْضِ تَسْطُرُ شِعْراً ... هَـذَّبَـتْـهُ الـسَّرَّاءُ وَالـضَّرَّاءُ
فَـإِذَا مَـا قُلْنَا القَصِيدَ فَإِنَّا ... لِـلَّـذِي يَـكْـتُـبُـونَـهُ قُـرَّاءُ
وإذا ما سُئِلْتُ مَنْ شَاعِرُ القَوْمِ ... غَـدَاً، قلتُ أَنْـتُـمُ الـشُّـعَـرَاءُ
وَأَرَى أَبْـلَـغَ القَصَائِدِ طُـراً ... أَنَّـنَـا في زَمَـانِـنَـا أَحْـيَـاءُ

معين الدمع

(عشرة أبيات في معارضة معلقة عمرو بن كلثوم)

معينُ الدَّمْعِ لَنْ يَبْقَى مَعِينا فَمِنْ أَيِّ المصَائِبِ تَدْمَعِينا
زَمَـانٌ هَـوَّنَ الأَحْـرَارَ مِنَّا فُدِيتِ، وَحَكَّمَ الأَنْذَالَ فِينا
مَلأْنَا الـبَرَّ مِنْ قَتْلَى كِـرَامٍ عَـلَى غَـيْرِ المهَانَةِ صَابِرِينا
كأَنَّهُمُو أَتَـوْا سُـوقَ المنايا فَصَارُوا يَنْظُرُونَ وَيَنْتَقُونا
لَوَ انَّ الدَّهْرَ يَعرِفُ حَقَّ قَوْمٍ لَقَبَّلَ مِنْهُمُ اليَدَ والجبينا
عَرَفْنَا الدَّهْرَ في حَالَيْهِ حتى تَـعَـوَّدْنَـاهُمَـا شَـدًّا وَلِينا
فَـمَا رَدَّ الـرِّثَـاءُ لَنَا قَتِيلاً وَلا فَكَّ الرَّجَاءُ لَنَا سَجِينا
سَنَبْحَثُ عَنْ شَهِيدٍ في قِمَاطٍ نُـبَـايِـعُـهُ أَمِـيرَ المؤمِنِينا
وَنَحْمِلُهُ عَلَى هَامِ الرَّزَايا لِدَهْرٍ نَشْتَهِيهِ وَيَشْتَهِينا
فَـإِنَّ الحَـقَّ مُشْتَاقٌ إلى أَنْ يَرَى بَعْضَ الجَبَابِرِ سَاجِدِينا

شكر

مَحبَّتكم أيها الأهلُ طيرٌ يحطُّ على كَتِفِيْ، هَكَذا كالهَدِيَّةِ مِنْ لا مَكَانْ
يُبَارِكُني، وَأُرَاقِبُ نَفْسِي لِكَيْ لا يَخَافَ، أُرِيدُ لَهُ أَنْ يَظَلَّ هُنَاكْ
فَقَدْ عَلِمَ اللهُ كَمْ طَارَ حَتَّى أَتَاني، وَكَمْ في الطَّرِيقِ نَجا مِنْ هَلاكْ
رَعَى الله مُسْتَأمِناً لَيْسَ يَدْرِي إلى أَيِّ حَدٍّ إذا زَارَ يُهْدِي إِلَيَّ الأَمَانْ

لَكُمْ مِنِّيَ الشُّكْرُ أَلْفاً
فإنَّ المحبَّ لَدَيْنا، إذا ما اسْتَطَاعَ المحبَّةَ، رَغْمَ المهالكِ شَخْصٌ كَرِيمْ
وَ إنَّ الحياةَ الطَّبِيعِيَّةَ اليَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمْ
وَإنَّ حَياتِي لَتُشْعِرُني أَنَّني مُذْنِبٌ في الصَّباحِ وَتُشْعِرُني أَنَّني بَطَلٌ في المَسَاءِ
فَقَدْ مَرَّ يَوْمِي كَمَجْمُوعَةٍ كُلِّفَتْ بِاغْتِيالي وَلَمْ تَرَني، مَرَّ وَقْعُ خُطَاهُم عَلَى شَارِعٍ، لحظةً، وَانْحَسَرْ
أُهَنِئُ نفسي فقدْ مرَّ يومي، وما زلت بعض البشرْ
يُقَاتِلُنا الدَّهْرُ عَنْ صِحَّةِ الرُّوحِ فِينا، وَيَدْفَعُنا للفَسَادْ
وَلِلحُبِّ في زَمَني صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الجِهادْ

أَلَسْتَ تَرَانَا نُقَاتِلُ حين نَخُطُّ قلوبَ المحبينَ فَوْقَ الجُدُرْ
ونُقْتَلُ حتى تَتِمَّ الصُّوَرْ!

فَيا أُمَّةً للهَوَى والعِنَادْ
لكم مِنِّيَ الشُّكْرُ ألْفاً
وَشُكْرِي لَكُم أَنْ أَظَلَّ كَمَا كُنْتُ حَتى أَمُوتَ بِقَلْبِ سَلِيمْ
وأني أُجِيبُ إذا سَأَلُوني، قُبَيْلَ مُلاقَاةِ رَبٍّ رَحِيمْ
وَ عَيْنَايَ في أَعْيُنِ القَوْمِ يا إخوتي، واثقاً، راضياً لا أَغُضُّ البَصَرْ
أنَا ابْنُ مُرِيدٍ وَرَضْوَى،
بِلادِي فِلَسْطِينُ،
وَاْسْمِي تَمِيمْ

في القدس يرتاحُ التناقضُ، والعجائبُ ليسَ ينكرُها العبادُ،
كأنها قطعُ القماشِ يُقلّبون قديمها وجديدها،
والمعجزاتُ هناكَ تُلمسُ باليدينْ

في القدس لو صافحتَ شيخاً أو لمستَ بنايةً
لوَجَدْتَ منقوشاً على كفّيكَ نصَّ قصيدةٍ
يابْنَ الكرامِ أو اثنتينْ

في القدس، رغمَ تتابعِ النكباتِ، ريحُ براءةٍ في الجوِّ، ريحُ طفولةٍ،
فترى الحمامَ يطيرُ يُعلنُ دولةً في الريحِ بينَ رصاصتينْ

ولد تميم البرغوثي في القاهرة عام ١٩٧٧ لأب فلسطيني وأم مصرية، كتب أشعاره بالفصحى والدارجة. صدر له أربعة دواوين هي ميجنا (١٩٩٩) بالعامية الفلسطينية، والمنظر (دار الشروق ٢٠٠٢) وقالوا لي بتحب مصر (دار الشروق ٢٠٠٥) بالعامية المصرية، ومقام عراق (٢٠٠٥) بالعربية الفصحى، وله كتابان في النظرية السياسية باللغتين العربية والإنجليزية.



6 221102 023559

دار الشروق
www.shorouk.com